الحِجَاج في الخُطبة النبويَّة

د. جمعان بن عبد الكريم الغامدي
الأستاذ المشارك في قسم اللغة العربية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة الباحة

ورد البحث في ١/ ٢/ ١٤٣٤هـ وقُبل للنشر في ٢١/ ٦/ ١٤٣٤هـ

الحِجَاج في الخُطبة النبويَّة

د. جمعان بن عبد الكريم الغامدي

ملخص البحث

يتناول هذا البحث الحِجَاج في الخطبة النبوية، ويحتوي على ثلاثة مباحث: مبحث حول الخطابة والحجاج بوجه عام، و قد تم التركيز فيه على دراسة الخطبة النبوية بوجه خاص، يليه مبحث ثان حول المسار الحجاجي للخطبة النبوية، وثالث جرى فيه التحليل الحجاجي، كما وضع البحث في نهايته أنموذجاً مقترحاً للحجاج في الخطب النبوية.

Argumentation in The Sermon of The Prophet

Dr. Jaman Abdlkreem Al-Ghamdi

ABSTRACT

This paper deals with argumentation in the sermon of the Prophet. It is composed of three sections. The first deals with rhetoric and argumentation in general, and has particularly focused on the study of the prophetic sermon. The second traces argumentation in the sermon of the prophet. The third concentrates on argumentative analysis and provides a suggested model for argumentation in the prophetic sermon.

مقدمة

ما تنفك الدراسات اللسانية الحديثة تتطور في شتى الجوانب، ولعل دراسات الحجاج في النصوص اللغوية هي من أحدث الدراسات اللسانية والخطابية التي تحاول الوصول إلى كيف تقوم النصوص بعملية الإقناع؟ ولماذا بعض النصوص تكون مقنعة وأخرى تقل درجة إقناعها عن غيرها؟ وما أهم الوسائل اللسانية والبلاغية التي تستعمل في الحجاج؟. وقد ظهرت نظريات متعددة، ونماذج مختلفة تقارب الحجاج في النصوص...

وفي الحقيقة أن الحجاج تتنازعه البلاغة ونعني بها (البلاغة الجديدة) التي أصبحت مصطلحاً مرادفاً للحجاج...، وكذلك البلاغة حسب المفهوم التأسيسي للتأريخ الغربي للبلاغة عند أرسطو...، و يمكن أن يدخل في ذلك بعض الدراسات العربية[1] التي أشارت إلى الجانب الحجاجي في دراسة عبدالقاهر الجرجاني للاستعارة وخصوصاً دراسة الدكتور طه عبدالرحمن[2]، كما تتناوشه اللسانيات التداولية التي تنطلق من دراسة الجملة، ومعظم الذين تناولوا الحجاج أشاروا إلى هذين الفرعين العلميين في الحجاج، ولكنهم أغفلوا أن تحليل الخطاب وتحليل الخطاب النقدي يعدّان الحجاج جزءاً أصيلاً من أجزائهما، وقلّما نجد كتاباً غربياً في الدراسات الخطابية إلا ويخصص جزءاً للحجاج، ويمكن أن يُصنَّف الحجاج كفرع علمي ينبثق من اللسانيات التداولية الخطابية بشكل عام غير غافلين عن احتوائه على مكونات لسانية وأخرى بلاغية...

وقد نجمت الدراسات الحجاجية العربية في الفترة الأخيرة وخصوصاً في المغرب العربي وتونس وظهرت بحوث متعددة في هذا المجال...، كما اهتمت بعض

البحوث العربية بدراسة تطبيقات الحجاج على النصوص اللغوية، ومن ذلك الدراسات التي اهتمت بالحجاج في القرآن الكريم[٣]، ولم أجد فيما بين يدي من كتب وبحوث دراسات حول الحجاج في النصوص النبوية، وخصوصاً نص الخطبة؛ إذ الخطبة هي موضع من أهم المواضع التي يظهر فيها الحجاج، فكانت هذه الدراسة حول الحجاج في الخطبة النبوية، وتفرعت الدراسة إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وملحق، وقد دار المبحث الأول حول مفهوم الخطابة والحجاج، وجرى الاهتمام فيه بالخطبة النبوية على وجه الخصوص.

أما المبحث الثاني فقد كان حول المسار الحجاجي في الخطب النبوية، وتمّت فيه مقاربة للأيتوس الخطابي والما قبل خطابي، كما تمّت فيه الإشارة إلى أهمية التماسك الحجاجي، إضافة إلى دراسة البنية العليا وتوظيفها الحجاجي، وصولاً إلى تناول البنية الحجاجية الشاملة وأقسامها تمهيداً لإجراء التحليل الحجاجي.

تلا ذلك المبحث الثالث وفيه تحليل لبعض الخطب النبوية التي تم اختيارها، بحيث يُتَوقّع أن يظهر فيها الجانب الحجاجي أكثر من غيره من الجوانب كخطب البدايات في مكة والمدينة، وكالخطب التي جرى فيها حوار بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين بعض متلقي الخطبة من الصحابة الكرام، ثُمَّ تَمَّ في نهاية البحث وضْع أنموذج للحجاج في الخطبة النبوية.

وقد اعتمد البحث على أهم المراجع العلمية المتوفرة حول الحجاج ولسانيات النص وتحليل الخطاب في اللغة العربية، كما أفاد من بعض المراجع الأجنبية. أما أهم الصعوبات التي واجهت البحث فتمثَّلت في ندرة البحوث التي تناولت الحجاج من جانب تطبيقي نصي...

الخطابة والحجاج

إن من حسن التأتي لهذا البحث أن يقدم بين يديه إشارة إلى عدة مسائل أولية تتعلق بتعريف الخُطبة وأهميتها على وجه العموم، ثم يكون الانتقال إلى مقاربة الخطبة النبوية خصوصاً، وأهم ما امتازت في موضوعاتها، وفي أساليبها، يلي ذلك إشارة إلى تعريف الحجاج، وأهميته في الدرس اللساني الحديث.

١,١ تعريف الخُطبة وأهميتها

من البدهي أن الخُطبة تُفهَم الآن على أنها نص نثري ذو مواضعات خاصة تجعله يختلف عن النصوص النثرية الأخرى، وللتعرف على الخطبة بشكل جلي يلزم في البداية أن نشير إلى معناها المعجمي فهي آتية من المادة المعجمية خَ/ طَ/ بَ/ ، و" الخَطْبُ: الشأن أو الأمر، صَغُر أو عَظُم؛ وقيل هو سبب الأمر. يقال: ما خطبك؟ أي ما أمرك... وخَطَب المرأة يَخْطُبها خَطْباً وخِطْبة، بالكسر...، وخَطَب الخاطب على المِنْبَر، واخْتَطَب يَخْطُبُ خَطابَةً، واسم الكلام: الخُطْبة... وذهب أبو إسحق إلى أن الخُطبة عند العرب: الكلام المنثور المسجَّع، ونحوه، والخُطبة، مثل الرِّسالةِ، التي لها أول وآخر. قال وسمعتُ بعض العرب يقول: اللهم ارفع عنا هذه الضُّغطة كأنه ذهب إلى أن لها مُدة وغايةً، وأولاً وآخراً؛ ولو أراد مَرَّة لقال ضَغطة، ولو أراد الفعل لقال الضِّغطة مثل المِشية. قال وسمعت آخر يقول: اللهم غلبني فلانٌ على قُطعة من الأرض يريد أرضاً مفروزة "[٤]

و" الخُطبة بالضم: لونٌ كَدِرٌ، مُشرَبٌ حُمرةً في صُفرة أو غُبرة تَرهقها خُضرة. والأخطب: الشِّقراقُ، أو الصُّرَد، والصَّقر، والحِمار تعلوه خُضرة، أو بمتنه خَطٌّ أسود، ومن الحنظل: ما فيه خطوط خُضر. "[٥]

وتدلنا تلك المعاني المعجمية على عدة أمور:

أولاً: يبدو أن الجامع بين تلك المعاني المعجمية هو التغير، فالخَطب هو شأن جديد سواء أكان عظيماً أم صغيراً أدى إلى تغيّر ما، وما يحدث في حال نكاح المرأة هو شأن جديد يغيّر من حالها، وما يحدث من تغير في الألوان يسمَّى كذلك خُطبة، وبعض الحيوانات كالصُرَد وكحمار الوحش، وكالحنظل التي يُلحظ فيها لون متغير عن سائر لونها.

ثانياً: أن صيغة (فُعْلة) بضم الفاء تدل على أن هذا الكلام متميز عن بقية الكلام وأن له بداية ونهاية تختص به.

ثالثاً: أن اقتران الخطبة بالكلام الملقى على المنبر، و الكلام الشفهي المسجوع في الجاهلية يدل على أن (الخُطبة) كلام يمتاز عن غيره بأن له أوضاعاً وكيفيّات خاصة منها ما هو خارج نص الخُطبة، ومنها ما هو داخل نص الخطبة.

والمحصلة إذن تجعلنا نؤكد على أن الخُطبة تعني: نصاً لغوياً مغايراً عن الكلام العادي بمواضعات معينة في داخل النص و في مقامه يهدف إلى إحداث تغيير ما عند السامع، ولن يتم ذلك التغيير إلا بواسطة النص ومقامه معاً، ووسيلة ذلك إما وسيلة (عقلية) أو (عقلية – عاطفية) وهي الإقناع أو وسيلة (غير عقلية) وهي التهديد بالعنف اللفظي أو الإيذاء الجسدي. ولأجل ذلك فتعريف المعجم الوسيط للخُطبة بأنها: "الكلام المنثور يخاطب به متكلمٌ فصيح جَمعاً من الناس لإقناعهم"[٦] هو تعريف مناسب للخُطبة كما أنه يشير إلى ارتباطها بالإقناع الذي يتم عن طريق الحجاج فقط؛ وهذا التعريف للخطبة يكاد يتفق مع التعريف الاصطلاحي الذي يضعه الدكتور عبدالرحيم الرحموني حيث يعرفها بأنها: "فن شفوي أدبي بليغ، يقوم على عنصري

الإقناع والتأثير في الجمهور الذي يخاطبه الخطيب "[٧]؛ وعليه فإن الخطبة هي **نوع من الحجاج** بمفهومه العام ونستطيع القول أيضاً: إنها نص حجاجي. أو هي **نص لغوي يستعمل الحجاج** بهدف الإقناع، أو نص يمتاز بكثرة استعماله للحجاج. والفرق بين الناحيتين تتجلى في أن النظر للنص يكون من جهة المكون الحجاجي نفسه، أو من جهة اللغة وما تحتويه من أنواع نصية مختلفة.

أما أهمية الخُطبة عند العرب، فتتجلى في ارتباطها بوظيفتها ومكانتها في المجتمع العربي، ويرى شوقي ضيف أن مكانة الخطيب في الجاهلية تتفوق على مكانة الشاعر، وأن ذلك يرجع إلى عدة أسباب متشابكة منها أن الخطابة كانت من لوازم سادتهم الذين يتكلمون باسمهم في المواسم والمحافل العظام... ويضاف إلى هذا السبب في تفوق الخطيب على الشاعر في الجاهلية اتساع وظيفته؛ إذ كان يفاخر وينافر عن قومه فيشترك بذلك مع الشاعر، كما يشترك معه في الحض على القتال، ثم ينفرد بمواقف خاصة كالوفادة على الملوك وكالنصح والإرشاد[٨].

وقد زادت أهميتها بعد ظهور الإسلام؛ إذ اتخذها الرسول صلى الله عليه وسلم أداة في الدعوة إلى دين الله تعالى بالحجة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن،كما أنها أصبحت جزءاً من الدين في صلاة الجمعة وصلاة العيدين وصلاة الاستسقاء وصلاة الكسوف...

وبناء على كل ذلك فإن أهمية الخطبة اقترنت بأهمية ما تطرقه من موضوعات مهمة لها علاقة بحياة الناس وانتظامها بخلاف الشعر الذي أصبح فناً يقترن بالاستمتاع الإبداعي في الغالب؛ وذلك ما بيَّنه أبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين حيث ذكر ذلك في قوله: " ومما يُعرف أيضاً من الخطابة والكتابة أنهما مختصتان بأمر الدين

والسلطان وعليهما مدار الدار وليس للشعر بهما اختصاص... والخطابة لها الحظ الأوفر من أمر الدين.. لأن الخطبة شطر الصلاة التي هي عماد الدين، في الأعياد والجمعات والجماعات، وتشتمل على ذكر المواعظ التي يجب أن يتعهد بها الإمام رعيته لئلا تدرس من قلوبهم آثار ما أنزل الله عز وجل من ذلك في كتابه إلى غير ذلك من منافع الخطب"[٩]

١,٢ الخطبة النبوية

الرسول صلى الله عليه وسلم أخطب العرب قاطبة، ومعنى ذلك أنه أقدرهم على الإقناع وأملكهم للحجة، ومن المستحسن أن يتطرق البحث باختصار إلى أهم ما امتازت به الخطبة النبوية على المستوى الموضوعي، وعلى المستوى الأسلوبي، ثم ينتقل البحث من بعد إلى تبيان الطريقة التي سيتم بها اختيار الخطب النبوية[١٠] التي ستكون مدونة لهذا البحث في تحليله للحجاج النبوي.

مما لا اختلاف فيه أن الخطب النبوية لم تصل إلينا جميعها، كما أن بعض أجزائها قد وردت مفرقة في الأحاديث النبوية، ويمكن ملاحظة ذلك من مقارنة عدد ما جمع من الخطب النبوية بعدد خطب الجمعة التي خطبها صلى الله عليه وسلم[١١] وعدد خطب المناسبات الدينية الأخرى كصلاة العيدين وصلاة الاستسقاء...

كما يمكن تقسيم أهم المجالات الموضوعية التي اهتمت بها الخطب النبوية إلى عدة مجالات كالتالي: **المجال الديني** ويشمل الخطب التي كانت تهتم بموضوعات الدعوة إلى دين الله، وموضوعات الوعظ والتذكير والتوجيه والإرشاد، وموضوعات تفصيل وشرح بعض أحكام الدين وتشريعاته التي تنظم حياة الناس...، و**المجال السياسي:** ويشمل الخطب التي كانت تتعلق بترتيبات الدولة الإسلامية في حال السلم

وحال الحرب...، و**المجال الاجتماعي:** ويشمل الخطب التي تهتم بأحوال المجتمع الإسلامي ويمكن أن يدخل فيها تلك الخطب التي تحث على نبذ العصبية وإصلاح الخصومات، وخطب النكاح، والخطب التي تتعلق بمناسبات اجتماعية، أو أحداث اجتماعية معينة وقعت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم...

وتتميز خطب الرسول صلى الله عليه وسلم من حيث المستوى الأسلوبي بأنها خطب قصيرة على وجه العموم، وبأنها واضحة في ألفاظها، بعيدة عن الألفاظ الغريبة، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يبتدئ فيها بحمد الله والثناء عليه ثم ينتقل إلى موضوع الخطبة ويختمها بذكر الله، وقد استطاع بذلك أن يؤسس لنمط جديد يختلف عن نمط الخطبة الجاهلية، كما أنه يمثل بذلك قوة حجاجية تتسرب من خلال البنية الخطابية نفسها...، ولعل ابتعاد الخطابة النبوية عن السجع هو جزء أسلوبي مهم أيضاً في التأسيس لخطابة وحجاج جديد كما سنشير إلى ذلك لاحقاً، " ومن المحقق أن الرسول كان في خطابته – كما كان في حديثه – لا يستعين بخلابة ولا تزويق، وقد برئت ألفاظه من الإغراب والتعقيد والاستكراه، وهي مع ذلك ألفاظ جزلة لها بهاء ورونق، تعمر بها القلوب والصدور وترتاح إليها الأسماع والأفئدة "[١٢]

وقد اقتضت طبيعة البحث المتعلقة بالحجاج بعد قراءة أغلب الخطب النبوية في المراجع التي اهتمت بها الاكتفاء بأخذ بعض العينات منها، واختيار أهم الخطب التي تركز فيها الحجاج أكثر من غيرها، وتمثل ذلك في جانبين **الأول**: خطب البدايات في مكة والمدينة؛ إذ إن الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الظرف الزمني الدقيق يهدف إلى إقناع الناس بالدعوة إلى دين الله. و**الآخر**: الخطب التي تهدف إلى الإقناع في مسائل أو أحداث تختلف فيها المواقف وتختلف فيها التقديرات وتكون عرضة لتداول

الرأي، أو للموافقة أو عدمها، أو للقبول والرفض، أو بعبارة أخرى يظهر فيها موضع للنقاش والجدل أكثر من غيرها.

وبناء على ذلك فإن البحث لن يقف على تلك الخطب التي تهدف إلى التعليم أو إلى التوجيه والإرشاد أو إلى الوعظ والتذكير، أو إلى شرح بعض أحكام المعاملات والتشريعات، أو تلك الخطب التي تفسر حدثاً دعت الضرورة إلى تفسيره أو شرحه أو بيانه على المنبر[١٣]، على الرغم من أننا نعتقد أن المكوّن الحجاجي لا يكاد يخلو منه نص من النصوص...

١,٣ تعريف الحجاج وأهميته

كما تطرق البحث إلى مفهوم الخطبة لابد أن يتطرق كذلك إلى مفهوم الحجاج وأهميته وعلاقته بنص الخطبة. فقد ورد في اللسان " يقال: حاجَجْتُه أُحاجُّه حِجاجاً ومُحاجَّة حتى حَجَجْتُه أَي غلبته بالحُجَجِ التي أدليت بها... والحُجَّة: البرهان؛ وقيل: الحُجَّة ما دُوفع به الخصم، وقال الأزهري: الحُجَّة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة... وجمع الحُجَّة: حُجَجٌ وحِجاج، وحاجَّه مُحاجَّةً وحِجاجاً: نازعه الحُجَّة... واحْتجَّ بالشيء: اتخذه حُجَّة؛ قال الأزهري: إنما سميت حُجَّةً لأنها تُحَجُّ أي تُقصد لأن القصد لها وإليها... والحُجة: الدليل والبرهان "[١٤]، ونجد في القاموس " المِحْجاجُ: الجَدِلُ "[١٥] وعلى ذلك فإن صيغة المبالغة (مِفْعال) تدل على نوع من الحجاج هو الجَدَل ويبدو أن الجَدَل هو الحجاج المذموم؛ لأن القاموس يفسره بأنه " اللَّدَدُ في الخصومة، والقدرة عليها "[١٦]، ولكن المعجم الوسيط ينظر إلى الحِجاج والجَدَل كلفظين مترادفين.[١٧] ويظهر أن اللفظين قد استقرا على أنهما مترادفان في اللغة الاصطلاحية، فأبو الوليد الباجي، يذكر في مفتتح كتابه (المنهاج في ترتيب الحجاج) أنه أزمع على

جمع كتاب في " الجدل "[١٨] فالحجاج إذن هو الجدل، اصطلاحاً ولكننا نجد أن ابن خلدون يذكر مصطلح (الجدال) ويعرفه بأنه: "معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم "[١٩] أي يصح أن يكون هذا العلم هو علم المناظرة، بيد أنه عند التدقيق في تتبع مسارات تطور العلوم نجد أن **الجدل** صار جزءا من (المناظرة) التي أصبحت كما يقول عبد المجيد تركي " لفظة جامعة تشمل ثلاثة أنواع: إن كان في أصول الفقه سمي **جدلاً**، وإن كان في فروع الفقه سمي **خلافيات** وإن كان في شروط المناظرة وقواعدها لتجري على أصول سليمة وفي جو مناسب للمقام سمي **آداب البحث** "[٢٠]

أما في هذا العصر، فيكاد يختفي علم المناظرة، ولم يتبق منه إلا فرع الخلافيات لارتباطه بالفتوى وما يؤثر فيها من مذاهب فقهية ومن تغير في الأحوال وفي الزمان وفي المكان، في حين ظهر علم الحجاج كعلم لساني أو كأحد فروع التداولية اللسانية، وفي الحقيقة أن الحجاج كان " في صلب التصور القديم للخطابة (كما جاءت عن أرسطو) وأعيد تأسيس الدراسات الحجاجية في النصف الثاني من القرن العشرين انطلاقاً من أعمال ش. برلامان ول. ألبراخت – تيتكا، وس. تولمان "[٢١]، وهو يختلف كلياً عن المنطق البرهاني[٢٢] عند المناطقة. ويختلف عن جدل القدماء في التراث العربي أيضاً، وإن كان من صلة وصل بينهما فهو ما يتعلق بآداب البحث التي تعد جزءاً من علم الحجاج اللساني الذي لا يختص فقط بالمناظرة[٢٣]، بل يشمل كل كلام يهدف إلى التأثير في المتلقي سواء كان على سبيل المناظرة أم كان على غير سبيلها، وبذلك يمكن أن يشمل جميع النصوص اللغوية، بل يمكن أن يستعان فيه بما هو سيميائي من حركات وصور وإشارات، وقد صار الحجاج فرعاً علمياً يحتوي على عدة نظريات ومنها ما هو ذو منزع أسلوبي أو لساني تداولي، ومنا ما هو ذو منزع أسلوبي بلاغي...

أما أقرب شيء في الجهد اللغوي العربي القديم للحجاج اللساني الحديث، فهو ما كان يسمى بآداب البحث والمناظرة، وما أُطلق عليه المذهب الكلامي في البلاغة العربية، بالإضافة إلى البحوث الدلالية عند الأصوليين، ويمكن أن يدخل في ذلك بعض النظرات التداولية عند النحويين والبلاغيين القدامى... ولكن الحجاج الحديث يشمل الكلام العادي، والكتابة الأدبية، والكتابة القانونية، وغير ذلك من الأشكال اللغوية ولا يقتصر على النصوص الدينية أو الأدبية...

وعلى ذلك فإن المقصود بالحجاج هو **علم يدرس أشكال ووسائل التأثير في المتلقي التي تتم في إطار النص اللغوي أو في الإطار السيميائي العام بهدف الإقناع بفكرة ما، أو الدفاع عن فكرة ما، أو الهجوم على فكرة ما، للوصول إلى الاقتناع أو الإفحام.** [٢٤]

أما إذا انطلقنا من العملية الحجاجية نفسها لتعريف الحجاج، فسيصبح تعريفه كالتالي: " الحجاج هو أن يقدم المتكلم قولاً ق١ (أو مجموعة من الأقوال) موجهة إلى جعل المخاطب يقبل قولاً آخر ق٢ (أو مجموعة أقوال أخرى) سواء أكان ق٢ صريحاً أم ضمنياً، وهذا الحمل على قبول ق ٢ على أنه نتيجة للحجة ق ١ يسمى عمل المحاجة؛ فالحجاج إذن هو علاقة دلالية تربط بين الأقوال في الخطاب تنتج عن عمل المحاجة "[٢٥]، وليس الحجاج مقصورا على المناقشات أو الحوارات كما قد يتبادر إلى ذهن بعض الناس، بل هو يشمل كل قول يهدف إلى الإقناع بما في ذلك النصوص التعليمية والتوجيهية، وتعد الخطابة من أهم أنواع النصوص النثرية التي تحفل بالحجاج، كما أن الحجاج ذو مرجعية اجتماعية، أي أنه يتكون ضمن اللغة الطبيعية للنشاط اللغوي للمجتمع[٢٦] وبذلك يفترق فرقاً بائناً عن الدرس المنطقي للقضايا، وعن اللغة الصورية للمنطق.

وتتمثل أهمية هذا العلم اللساني في أن اللغة برمتها مبنية على الحجاج[٢٧] ثم إن الحجاج يعد جزءاً من نظام الخطابة بصفة عامة [٢٨]، لأن هدفها الرئيس هو الإقناع.

المسار الحجاجي في الخطب النبوية

لكل حجاج مساره الخاص به الذي تتنامى فيه الوسائل الحجاجية بطرق مختلفة، وليس بالضرورة وفق طريقة واحدة، أو أسلوب واحد، ويتأثر المسار الحجاجي بقدرات المتكلم اللغوية والحجاجية...، كما يتأثر بمقدار معرفة المتكلم لذهنية المخاطَب وللسياق النفسي والاجتماعي للمخاطَب، والمسار الحجاجي هو في الحقيقة ما يشكل في المقام الأول تفرُّد النص الحجاجي وتميزه عن بقية النصوص الحجاجية الأخرى؛ إذ إن البنية العميقة لأنواع الحجج قد تكون متشابهة أو متماثلة في كثير من النصوص الحجاجية، ولكن يبقى لكل نص حجاجي مساره الخاص به في عرض تلك الحجج وفي تنظيمها، وفي تماسكها، وفي القدرة على الملاءمة بين النص الحجاجي وسياقه الحجاجي للوصول إلى الإقناع، وبناء على ذلك فإن المسار الحجاجي لا يقل أهمية عن أنواع الحجج وعن الروابط الحجاجية في النص.

وسندرس في هذا المبحث كل ما له علاقة بتشكُّل الحجاج في الخطب النبوية من خلال تتبع ما يتعلق بالأيتوس، ومن خلال دراسة التماسك الحجاجي، مع التركيز على البنية الجديدة للخطبة النبوية من حيث بنيتها الهيكلية العليا، ومن حيث بينتها الدلالية الكبرى وعلاقتها بالروابط الحجاجية كما سيشار إلى تغير الأسلوب بوصفه مكّوناً حجاجياً لا مكّوناً جمالياً فحسب...

٢,١ مقاربة للأيتوس الخطابي والما قبل خطابي في الخطب النبوية

إن الإيتوس Ethos الخطابي هو جزء من السياق الحجاجي على وجه العموم، في حين أن هذا المصطلح اليوناني يعني في الأساس صورة المتكلم التي تكون لدى السامع، ويجعله أرسطو من الحجج التقنية التي يصنعها الخطيب وتجعل خطابه إقناعياً[٢٩].

وتتجلى علاقة اللوقوس Logos ويعنى به الحجج الماثلة في النص اللغوي بالأيتوس في " تشكل مجال تكوين صورة الخطيب ممثل القيم... حتى لا ينشق جانباها الخِطابي والخَطَابي. ومبتدأ طرحه للقضية مكمن اختلافه مع المخاطب. فالخطاب في هذه المرحلة يجلي صورة المتكلم، ويوجِّه الحجج بحسب القصد وجهة معينة."[٣٠]وهذه التجلية لصورة المتكلم التي تظهر في النص تسمى (حالة الخطاب (تلفظ الخطيب)[٣١] وهي تظهر من خلال الإحالات بشكل عام: الاسم العلم، و " الضمائر، والمحددات الزمانية والمكانية، والألفاظ والأساليب المعبرة عن مواقف والألفاظ والأساليب المتضمنة لأحكام القيمة ويترك بها المتكلم صـورة عن نفسه، وبذلك تتقلص المسافة بينه وبين ملفوظه "[٣٢]

وتقسِّم بعض الدراسات الأيتوس إلى ما قبل خطابي وإلى خطابي، " ويتعلق الأيتوس الماقبل خطابي بجملة من العوامل أهمها:

- الدور الاجتماعي الذي للخطيب (الوظائف المؤسساتية / الموقع والسلطة).
- ما يشاع عن الخطيب من ادعاءات سلبية كانت أم إيجابية.
- إن تحديد صورة ذات الخطيب ومعالمها تستدعي في دراستها وتحليلها في مستويين اثنين:

١- موقع الباث المؤسساتي... الموقع الذي يمنح الكلام مشروعيته.
٢- الصورة التي يقدمها الخطيب عن نفسه: التمثيل الاجتماعي / العقائد التي يدين بها.

أما المستوى الخطابي فتدرج ضمنه:
١- الصورة التي يقدمها الخطيب عن نفسه ويجعلها متجلية في ملفوظه، وكذلك في عملية تلفظه والطريقة التي يعيد بها الخطيب هيكلة المعطيات ما قبل الخطابية.
٢- الصورة النابعة من اللحظة الخطابية.. فللمقام وملابساته وظروفه ومكوناته والفاعلين فيه مكانة في تحليل الخطاب وتأويل المحادثات "[٣٣]

وتتجلى أهمية الأيتوس حجاجياً في أن صورة الذات التي تتجلى في ما قبل الخطاب أو في الخطاب تمنح الخطيب:" السلطة والمصداقية في عيون جمهوره، فهي بهذا المعنى وداخل هذا السياق المحدد تهيكل حدث الخطاب الحجاجي وتظرفه."[٣٤]

ولو حاولنا تتبع ما تكون عند المجتمع في مكة عن الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، فإننا نجد أنه بالإضافة إلى كرم المحتد؛ إذ إنه حفيد عبد المطلب بن هاشم سيد قريش صار مثالا للنبل ومكارم الأخلاق، وقد اشتهر أكثر ما اشتهر بين مجتمع القرشيين (التجاري) بخصلتي الصدق والأمانة، وقد حاول الرسول صلى الله عليه وسلم أن يستثمر صفاته الذاتية التي اشتهر بها في أول خطبة صدع بها في مكة، ويضمِّنها في ملفوظه الخطابي بطريقة تثير التشويق، كما أنها في الوقت نفسه حجة نصية ذات وقع كبير، وقد صرح لهم كذلك الرسول صلى الله عليه وسلم بحبه الشديد لهم، وكان ذلك ليعرض عليهم الدين الجديد ويقنعهم به، ويتجلى ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: " **الحمد لله أحمده، وأستعينه، وأؤمن به، وأتوكل عليه،**

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. إن الرائد لا يكذب أهله "[٣٥]، فقد استعان بالمثل العربي الذي فيه إشارة إلى وظيفة الرائد الذي ينقذ أهله من العطش ومن الجوع بالبحث لهم عن الماء والكلأ. هذا الرائد عادة لا يكون إلا أصدق القبيلة لساناً وأكثرها حكمة وحدبا على قومه. والرسول هو بمثابة ذلك الرائد الذي أتاهم بالصدق والنجاة، ولا يكتفي الرسول بذلك، بل يجعلهم وجهاً لوجه أمام صدقه صلى الله عليه وسلم فيبتدئ به الخطبة حيث روي: "**عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال: لما نزلت " وأنذر عشيرتك الأقربين " صعد صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا نعم ما جربنا عليك إلا صدقا قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد...**"[٣٦]

وهو في أول خطبة جمعة في المدينة يقدم ذاته ويرسخها للمسلمين الذين آمنوا بالدين الجديد في وصل رسالته بالرسالات السابقة؛ مما يقوي الجانب الحجاجي في كل ما يقدمه للمسلمين فهو رسول الله وحسبك بهذا حتى تكون حجته سماوية ملزمة، يقول صلى الله عليه وسلم في أول الخطبة:

"الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأستغفره وأستهديه، وأؤمن به ولا أكفره، وأعادي من يكفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة على فترة من الرسل، وقلة من العلم، وضلالة من الناس، وانقطاع من الزمان، ودنو من الساعة، وقرب من الأجل من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى وفرط وضل ضلالاً بعيدا."[٣٧]

ولا يكتفي بذلك، بل هو في نهاية هذه الخطبة يجعل للمجتمع الجديد هوية جديدة تتواشج مع ما يقدمه من عقيدة ودين جديد، وهو يمهد بذلك لسلطة خطابية سماوية تعيد تشكيل المجتمع العربي و**تسميته** يقول في نهاية الخطبة: "، **وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين**"[٣٨]

إذن فمكانة الخطيب صلى الله عليه وسلم هي مكانة خاصة تتصل بالله خالق الناس أجمعين وهو قبل البعثة ذو صفات خلقية أبرز خِلالها الصدق، هذه المكانة تجعل للحجج التي يقدمها الرسول قوة إقناعية عظيمة لا يستطيع المستمع إلا الاقتناع بها، ويلفت النظر هنا أن إستراتجية الرسول صلى الله عليه وسلم لم تبدأ بالهجوم على أصنام قريش، بل بدأت بالدعوة إلى الدين الجديد، وهذا يجرُّنا إلى مقارنة هذه الإستراتجية في الإقناع بطريقة إبراهيم عليه السلام في البدء بالهجوم الحجاجي على أصنام قومه كما حكاها القرآن سواء في دعوة أبيه أم في دعوة قومه[٣٩]. و يبدو أن ذلك قد كان مناسباً للسياق الحجاجي مع قوم إبراهيم، فاتخذ الخطاب من " ماهية الأصنام ومن التعريف بحقيقتها حجة "[٤٠].

والذي يظهر أن الرحمة المهداة للعالمين كان أحرص ما يكون على استمالة قومه في البداية، واكتساب عدد من المناصرين، فلم يبدأ بالحجاج الهجومي على الأصنام، بل صار إليه فيما بعد وأصبح الحجاج الإبراهيمي ((وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه))[٤١] جزءاً تالياً من حجاج الرسول صلى الله عليه وسلم لقومه الذين هم جزء من ذرية إبراهيم عليه السلام. بيد أن الملفت للنظر حقاً أن الأسلوب الحجاجي بدأ استفهامياً عند إبراهيم عليه السلام، وعند النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ولكنه كان استفهامياً إنكارياً مصوغاً على شكل حجة عند إبراهيم عليه السلام، واستفهامياً تشويقياً مصوغاً على شكل حجة. وسنفصل الحديث حول ذلك عما قريب.

والرسول صلى الله عليه وسلم فضلا عن فصاحته وقوة عارضته الحجاجية لم يكتف بذلك، بل هو يقدم صورة الخطيب الناجح بإجادته للغة الجسد في أثناء الخطبة ليكمل التأثير في المخاطبين وليبلغ مداه، فجابر بن عبد الله يخبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا " خطب احمرَّت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش..."[٤٢]، وكان يستعمل أحياناً الإشارة بيده لتمثيل المعنى حسياً فهو يقول في خطبته: " بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى "[٤٣]، بل إن ابن عمر يخبرنا ما هو أكثر من ذلك حين قال: " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول: " يأخذ الجبار سماواته وأرضه بيده (وقبض بيده فجعل يقبضها ويبسطها) ثم يقول: أنا الجبار أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ " قال: ويَتَمَيَّل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمينه وعن يساره حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه، حتى إني أقول: أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم "[٤٤]

إن التمثل العاطفي لمضامين الخطاب، واستعمال لغة الجسد لتصديق ذاك التمثل بحيث يؤدي إلى التأثير في المخاطب بالاعتماد على انتقال العاطفة من الخطيب إلى المستمعين إذ اتسق مع الحجج النصية، واتسق مع مكونات الأيتوس الما قبل خطابي والأيتوس الخطابي، فإن ذلك يمثل الوصول إلى اقتناع المخاطب اقتناعاً تاماً بنتائج الحجاج، أو انتفاء القدرة على الرد على تلك الحجاج ويكون قصارى الجاحدين هو العناد والاستكبار والمعاداة...

ونخلص مما سبق أنه في ضوء تحليل الأيتوس الخطابي نرى الرسول صلى الله عليه وسلم يقدم عن نفسه وضعاً اجتماعياً فريداً هو كونه رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يتلقى الوحي من الله، وبذلك يستمد الخطاب النبوي سلطته من الخطاب الإلهي فيكتسب قوة حجاجية لا مجال للوقوف أمامها.

أما صورة الرسول صلى الله عليه وسلم فقد حرص هو على تذكير كفار قريش بها من خلال أول خطبه فيهم لتكون عوناً له في الاحتجاج لما يقول،كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان قادراً على الإفادة من معطيات اللحظة الخطابية (السياق النفسي والاجتماعي للمخاطبين وسياق المقام) إلى أقصى حدٍّ ممكن؛ وبذلك فقد اجتمعت له الفصاحة والخطابة والحجاج لتكون النتيجة أنه لا مجال لرد رسالته أو حججه إلا بطرق أخرى غير الطريق الحجاجية كالقيام بمنع خطابه أو تشويهه أو محاربته وقتاله.

٢,٢ التماسك الحجاجي

إن التماسك الحجاجي يمثل جزءاً لا يتجزأ من تماسك النص كما تدرسه لسانيات النص، ويُعرَّف التماسك في لسانيات النص[٤٥] بأنه: **ترابط النص[٤٦] على مستوى (نحو ما فوق الجملة) وعلى المستوى الدلالي وعلى المستوى التداولي وعلى المستوى الأسلوبي**.

وللتماسك أدوات لفظية وأدوات دلالية وأدوات تداولية متعددة يتحقق في ضوئها التماسك الذي يظهر في اكتمال البنيتين النصيتين: البنية العليا للنص والبنية الدلالية الكبرى للنص... وكل توظيف لنوع من أنواع تلك الأدوات في الحجاج يؤدي من ثم إلى التماسك الحجاجي، ويتحقق التماسك الحجاجي للخطبة من خلال عناصر المستوى الحجاجي داخل النص وخارج النص ويمكن مقاربته - على سبيل المثال - في ضوء الروابط الحجاجية، والعوامل الحجاجية، والسلالم الحجاجية في النص، وعلى ذلك فالتماسك الحجاجي يدل على نجاح العملية الحجاجية برمتها، كما هو مؤشر وجزء مهم من أجزاء التماسك الكلي الذي يدل على اكتمال نصوصية النص بصفة عامة.

٢,٢,١ البنية العليا وتوظيفها الحجاجي

تُعرَّف البنية العليا بأنها " المخطط المجرَّد الذي يحدِّد النظام الكلي لنص ما، وتتكون من مجموعة من المقولات التي ترتكز إمكاناتها التأليفية على قواعد عُرفية "[٤٧] أي أن بنية النص العليا هي ذلك النظام المتحقق في نص ما، ويمكن الاستنتاج منه أن هذا النص هو شعر أو حكاية أو خطبة... إلخ ويؤثر في تشكيل هذه البنية العليا عدة عوامل منها عوامل شكلية أو دلالية تتحقق في النص ومنها عوامل تداولية تتعلق بسياقات النص من سياق مقامي وسياق ثقافي كل ذلك قد يجعل من نوع نصي خطبة أو مقالاً أو قصة قصيرة ولا يجعل منها شيئاً آخر...

ولأن البنى العليا للنصوص هي عبارة عن تصنيف لنوع النص في المقام الأول نشأ عن أعراف نصية وأعراف اجتماعية وثقافية؛ فإن تلك البنى النصية ليست ثابتة قارة، بل هي خاضعة للتحول والتغير، فإذا صُنِّف نص ما على أنه حكاية شعبية ثم ظهر تصنيف لنص آخر على أنه قصة قصيرة فما ذلك إلا لتغير اشتراطات البنية العليا واختلافها ما بين الحكاية الشعبية والقصة القصيرة، بل إن البنية العليا لنوع نصي كالخطبة على سبيل المثال قد تتغير بعض سمات بنيتها العليا بين فترة وأخرى، وعلى ذلك يختلف تصنيف الخطبة في العصر الأموي والخطبة في العصر العثماني، أو الخطبة الدينية والخطبة السياسية، ليس لظهور فوارق أسلوبية وفوارق في الموضوعات فحسب، بل لعوامل أخرى متعددة منها ما يتعلق بالسياقات ومنها ما يتعلق بعملية التلقي والإدراك، بل قد تتداخل بعض الأنواع في بناها العليا كالخطبة والمحاضرة والموعظة...، ويُحتاج حينئذٍ إلى تفريق دقيق بين بنياتها العليا لتتضح إحداها من الأخرى.

والناظر في جنس الخطبة بشكل عام يرى أن بنيتها العليا تتشكل من خطيب، ووضع مكاني خاص (منبر أو مكان مرتفع...إلخ) ونص شفهي ذي مواضعات تتألف من (مقدمة وعرض وخاتمة) ومجموعة من المتلقين الذي يستمعون للخطبة دون حوار. ويمكن وضع تصور لمخطط البنية العليا للخطبة على النحو الآتي:

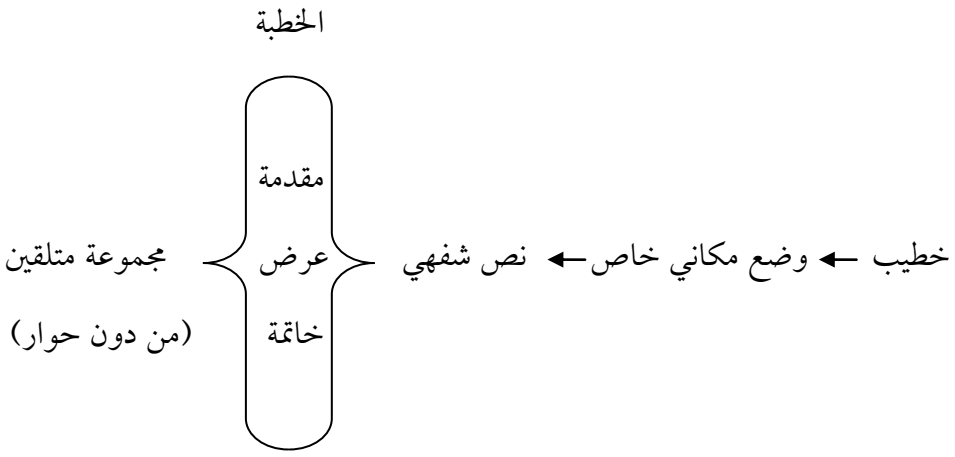

شكل إيضاحي رقم (١) البنية العليا التقليدية للخطابة

إن التغيير في بعض خصائص البنية العليا للخطبة قد يخرجها عن كونها خطبة فتتحول إلى نوع نصي آخر، في حين أن التغيير في بعض الخصائص قد يميز بين أنواع الخطب و قد يضيف خصيصة معينة تظل ركيزة في تصنيف نص الخطبة في مجتمع من المجتمعات دون مجتمعات أخرى...

ولندرك الفرق بين البنية العليا للخطبة النبوية والخطبة في العصر الجاهلي وأثرها في تشكيل المسار الحجاجي وفي التماسك الحجاجي يمكن أن نعقد المقارنة التالية بين بعض خصائص البنيتين وفق الجدول التالي:

البنية العليا للخطبة الجاهلية	البنية العليا للخطبة النبوية	ملحوظات
خطيب ' وضع مكاني الاعتماد على عصا أو قوس، (انظر البيان والتبيين ١/ ٣٧٠، ١،٣٨٣)	خطيب ' وضع مكاني الاعتماد على عصا أو قوس	يُذْكر أن النبي ترك الاعتماد على العصا لما عمل له المنبر (انظر: صحيح خطب الرسول صلى الله عليه وسلم ص ٢٤.
نص شفهي مقدمة تنبيهية مثل: أيها الناس يا معشر كذا، 'عرض – خاتمة	نص شفهي مقدمة دينية حجاجية ثابتة 'عرض 'خاتمة 'خاتمة حجاجية دينية	الخطبة النبوية بمجملها كانت تهدف إلى إقناع الناس بالدين الجديد والمقدمة هي تذكير حجاجي مستمر بالانتقال إلى دين جديد وقيم جديدة ونص جديد.
مدة الخطبة تتميز بالقصر	مدة الخطبة تتميز بالقصر	
موضوعات تتوافق مع الحياة الجاهلية	موضوعات تتوافق مع الحياة الإسلامية الجديدة	
خطبة تقليدية ليس فيها حوار مع الخطيب	خطبة ذات بنية عليا جديدة تتميز بفتح إمكانية الحوار	إمكانية الحوار هي التي أوجدت ميزة مضافة أو خاصية لم تتكرر في غير الخطبة النبوية وهي خاصية البنية العليا المفتوحة لنص الخطبة، وقد استمرت هذه الميزة في عهد الخلفاء الراشدين ثم اختفت بعد ذلك
أسلوبياً الاعتماد في الغالب على السجع	تمايز أسلوبي يتمثل في قلة استعمال السجع وذم السجع	

إن هذا الجدول حول البنية العليا للخطبة الجاهلية تتوافق مع ما ثبت وصوله إلينا من خطب جاهلية أشار شوقي ضيف إلى أنه يمكن الاطمئنان إليها على الرغم من أنه يذكر أن ما ورد حول نصوص الخطب الجاهلية لا يمكن الوصول من خلاله إلى نتائج قاطعة حول خصائص الخطبة الجاهلية[٤٨]، ولا شك أنه يعني بالخصائص الخصائص الأسلوبية، أما خصائص البنية العليا فهي خصائص (لسانية – نصية)، وهي على الراجح تتوافق مع الجدول الآنف، وعلى كل حال فإنها بأية صورة كانت لا يمكن أن يجري تماثل بينها وبين البنية العليا للخطبة النبوية التي قام الرسول صلى الله عليه وسلم بتوظيفها حجاجياً؛ لتمثل نقلة في هيئة الخطبة تترافق مع النقلة الكبرى مع الدين الجديد، ويظهر ذلك فيما يلي:

١- إيجاد مقدمة وخاتمة ثابتتين تمثلان نوعاً من القطيعة مع نمط الخطب الجاهلية، كما تمثلان حجاجاً ثابتاً يرسِّخ لمركزية الدين الجديد، ومن المؤكد أن المقدمة والخاتمة في الخطبة النبوية قد أدتا وظيفة حجاجية غاية في الأهمية هي إيجاد المبادئ الحجاجية وترسيخها، والتذكير بها دائماً، فوجود الروابط والعوامل الحجاجية مع التركيبية الحجاجية المتمثلة في الرمز الآتي: ح ـــــ] ن [٤٩] " لا تكفي لضمان سلامة العملية الحجاجية، ولا تكفي أيضاً لقيام العلاقة الحجاجية، إذ لابد من ضامن يضمن الربط بين الحجة والنتيجة، هذا الضامن هو ما يعرف بالمبادئ الحجاجية "[٥٠] والمبادئ الحجاجية تعني: "مجموعة من المسلمات والأفكار والمعتقدات المشتركة بين أفراد مجموعة لغوية وبشرية معينة"[٥١] أما كلاوس برينكر فيسمي هذه المبادئ بالأساس القيمي المفترض الإجماع عليه ويتقاسمه الباث والمتلقي وكثيرا ما يوجد في النص بصورة ضمنية[٥٢]؛ وبناء على ذلك فقد مُثِّلت تلك المبادئ من خلال مقدمة الخطبة النبوية وخاتمتها التي تتجلى في التحميد والثناء في بداية الخطبة،

والسلام وذكر الله في نهاية الخطبة[٥٣]، واستمر هذا النمط الجديد، وأصبحت العرب تحرص على البدء بالحمد في كل خطبها[٥٤]، وكانت تسمي كل خطبة لا يذكر فيها اسم الله في أولها من بعد بالبتراء[٥٥] إشارة إلى النقص المعيب الذي يلحقها، و لم يقف محمد العمري كثيرا حول أهمية المقدمة الجديدة في نظام الخطابة في القرن الأول، بل أشار مجرد إشارة إلى الإلحاح على الاستهلال الديني[٥٦] دون الحفر العميق في أبعاد توظيف تلك المقدمات، ومحاولة ربطها بالانتقال الحجاجي إلى القيم الجديدة للحياة التي تحاول ترسيخ منظومة الدين الجديد في بداية كل خطبة، و لم يتطرق محمد العمري كذلك في تعداده لوظائف المقدمة والخاتمة في الخطابة إلى ما قد تمثلانه من وظيفة حجاجية، بل اهتم متابعة لبعض الباحثين الغربيين بكونهما موضعاً لمستوى العواطف والاستهواء والاستمالة أو تمهيداً تقسيمياً لما سيأتي بعد المقدمة وتلخيصاً مركَّزا لما يكون قبل الخاتمة.[٥٧]

والحقيقة أن المقدمات التي تصدرت الخطبة النبوية، وأصبحت تقليدا خطابياً بعد ذلك هي مقدمات حجاجية " تعمل على شدِّ السامع وأسر كيانه عقلاً وعاطفة "[٥٨].

ثم إن موضع الافتتاح والغلق هما موضعان يمثلان جسراً أو قنطرة للانتقال، وهذا الفضاء المكاني الذي يتوافق في وظيفته مع ما تمثله المقدمة والخاتمة يعد من أهم الفضاءات المكانية إذ هو الموصل لما يليه، والحافظ لما خلفه، وبناء على هذا النطاق فإن تأسيس مقدمة فيها تكثيف شديد لكل المحتوى الحجاجي العام (المرتبط بقيم الدين الجديد)، وربطه بالتفريعات الحجاجية مهما كانت تلك التفريعات، يؤدي إلى قوة حجاجية مضاعفة تزيد من احتمالات اقتناع المتلقي، وهو ما أدته المقدمة والخاتمة في الخطبة النبوية.

٢- فتح إمكانية الحوار في الخطبة النبوية، وهذه الإمكانية الحوارية يمكن ملاحظتها من خلال تتبع الخطب النبوية، وتكاد تكون خصيصة تميز بها الرسول صلى الله عليه وسلم في خطبه، كما أنها تمثل إحدى وسائل الاختلاف مع الخطبة الجاهلية بحيث تؤسس لنمط من القطيعة مع وضع خطابي وحجاجي سابق للانتقال إلى وضع خطابي وحجاجي جديد، فضلاً عن ذلك فإن طبيعة الخطبة الشفهية تتيح إمكانيات مختلفة لتطور بنى النص المختلفة أكثر من النص المكتوب[٥٩]، وهو ما تحقق بصورة نستطيع القول: إنها ذات وظيفة حجاجية جدُّ واضحة في الخطابة النبوية، وتتجلى صور إمكانية فتح الحوار في ما يلي:

- طلب الرسول صلى الله عليه وسلم من المتلقين الإجابة عن سؤال أو الإدلاء برأي.
- تدخل أحد المتلقين للاستفسار في أثناء الخطبة أو بعد نهاية الخطبة.

وقد وُجِد هذا الحوار في عدد غير قليل من خطب الرسول صلى الله عليه وسلم التي وصلتنا [٦٠]، وهذا التغيير في البنية العليا بالسماح بإمكانية الحوار يؤسس لنمط **البنية العليا المفتوحة** في نص الخطبة إلى جوار نمط **البنية العليا المغلقة**، أو بمصطلحات الحجاج الانتقال من حجاج أحادي إلى حجاج حواري[٦١]، وذلك يدل على فتح نافذة حجاجية تزيد في القوة الاقتناعية للمتلقي، وعلى إذكاء الصبغة الحجاجية في الخطبة النبوية، والسماح بالحوار ليكون وسيلة قوية تساعد على إضفاء صفة التساوي في مقام الحجاج لتكون الغلبة للحجاج ذي الطابع السجالي الذي يأخذ ثلاث اتجاهات بدلا من اتجاه واحد يغلب على البنية العليا للخطبة التقليدية، وهذه الحوارية الحجاجية تؤدي إلى ما يطلق عليه

جاكوبس السمة التعاونية بحيث لا يكون الحجاج سلسلة من الحجج المتنامية فردياً في سياق المتحدث المفرد بل تنتج العملية الحجاجية في إطار تناوب حواري يسمح باستنتاج السند المرغوب لخلق الوفاق... وبتدعيم مقدمات الحجة بالنتائج المحصل عليها خلال الحوار[٦٢]، وقد يكون هذا النمط الحواري في الخطبة النبوية نوعاً جديداً من أنواع الخطب التي تفتح إمكانية الحوار، ولا نكاد نجد له مثيلاً وإن استمرت تأثيراته في عهد الخلفاء الراشدين ثم اختفى بعد ذلك، واستمرت الخطبة كنص أحادي يتجه من مُلقٍ إلى مُتلقٍ مستمع فقط.

ومع السماح بإمكانية الحوار في الخطب النبوية إلا أنه يظل حواراً جزئياً حتى لا تفقد الخطبة بنيتها العليا؛ فتتحول إلى شكل آخر كالمناظرة أو المحاورة، كما تم في الوقت نفسه الاحتفاظ بالبنية العليا للخطبة التقليدية بشكل عام لتكون ذخيرة حجاجية قديمة في المسار الحجاجي الجديد، ولتمثّل شكلاً من أشكال المراوحة بين الأنماط؛ مما يؤدي إلى مزيد من الفاعلية في نقل الخطاب إلى مختلف المتلقين ومراعاة لما يألفونه من نصوص أو أوضاع.

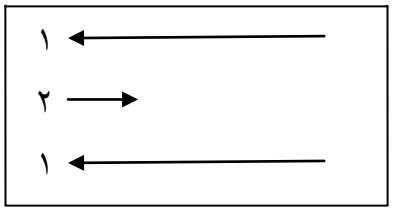

شكل إيضاحي رقم (٢) البنية العليا المفتوحة للخطبة النبوية ذات الحوار الجزئي

٣- التأسيس لنمط أسلوبي جديد يتمثل في الابتعاد عن السجع الذي كان سمة أسلوبية سائدة في الخطب الجاهلية[٦٣] وفي نصوص الكهان، إلى الكلام المرسل الخالي من التكلف، ومن السجع، وإن حدث واستُعمل السجع، فهو يُستَعمل

على نحو قليل ومن غير تكلف ويروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه أنكر صراحة تكلف السجع، حيث قال لما سمع كلاماً مسجوعاً: "أسجعٌ كسجع الكهان"[٦٤] وقد حاول الجاحظ أن يجعل ذلك مخصوصاً بنأنأة الإسلام أي بداية الإسلام[٦٥] وقال: "وكان الذي كره الأسجاع بعينها وإن كانت دون الشعر في التكلف والصنعة أن كهان العرب الذين كان أكثر أهل الجاهلية يتحاكمون إليهم... كانوا يتكهنون ويحكمون بالأسجاع"[٦٦]

وعلى ذلك فقد استطاعت الخطبة النبوية أن توجد مساراً حجاجياً بامتياز، مساراً حجاجيا معجزاً غيّر في البنية العليا للخطبة بما يحقق نقلة حجاجية إقناعية كبرى.

٢,٣ البنية الحجاجية الشاملة

تظهر مدى حجاجية أي نص من النصوص من خلال بنيته الحجاجية الشاملة وتتشكل هذه البنية الحجاجية من مستويين:

المستوى الأول: مستوى الحجاج داخل النص

يتم في هذا المستوى تحليل الحجاج من خلال تتبع الإستراتجيات الحجاجية داخل النص، ومحاولة الإفادة من النماذج الحجاجية[٦٧] بما يتناسب والنص المقصود بالتحليل، أو القيام بإتباع نموذج حجاجي معين،.... وسوف نقوم في هذا المستوى من التحليل بالتركيز على الجوانب اللسانية في تحليل عملية الحجاج، كما سنحاول الإشارة إلى بعض الإستراتيجيات البلاغية، ولأجل ذلك سوف نفيد من تتبع الروابط الحجاجية، ومن دراسة السُّلم الحجاجي[٦٨]، ثم نقوم بتحليل بعض النواحي البلاغية تحليلاً حجاجياً، إضافة إلى القيام بالإشارة فيما بعد إلى أهم أنواع الحجج التي ظهرت في الخطبة النبوية.

المستوى الثاني: مستوى الحجاج بالنص

ويتمثل هذا الحجاج بكون النص بكامله يؤدي إلى النتيجة الكلية للحجاج ويمكن الترميز لهذا المستوى كالتالي[٦٩]: النص ـــــ] ن

وتتكون البنية الحجاجية الشاملة من مكونين الأول منهما هو: الوظيفة الحجاجية للبنية العليا للنص، وقد دُرِست هذه البنية في الخطبة النبوية في الفقرة السابقة من البحث، والثاني منهما هو المعنى الحجاجي الكلي للنص، وهو يماثل البنية الدلالية الكبرى في النص غير الحجاجي، وإن كان يختلف عنها بما يتضمنه من توجه حجاجي، أو نستطيع القول: إنه البنية الدلالية الكبرى مصوغة صوغاً حجاجياً، ويتم الوصول إلى المعنى الحجاجي الكلي للنص بوساطة ثلاث خطوات كالتالي:

أولاً: محاولة اكتشاف من خلال النظر إلى مجمل حجج النص، والنظر إلى الكلمات المفتاحية في النص، وإلى التكرار لبعض الحجج أو الكلمات، والنظر أيضا إلى الروابط الحجاجية، مع أخذ السياق أو الأيتوس في الاعتبار عند هذه المحاولة وينتج عن هذه المحاولة الوصول إلى معنى حجاجي كلي حدسي.

ثانياً: القيام بالتغريض لحجة من الحجج لتكون هي الحجة الرئيسة وربط باقي الحجج بها، وقد يكون التغريض في الغالب للحجة الأولى أو الحجة الأخيرة من النص. ولربما تظهر بعد بعض الروابط الحجاجية القوية أو بعد السلم الحجاجي في داخل النص...

ثالثاً: التعميم وهو إحلال تصور إجمالي محل تصور مفصل، بحيث تحل قضية جديدة محل عدة قضايا تكون متضمنة في تلك القضية الجديدة [٧٠] فيصبح النص كاملا فعلاً كلاميا شاملاً مؤداه (أحجاجُ عن س) عن طريق إحلال حجة إجمالية محل الحجج التفصيلية في النص.

التحليل الحجاجي للخطب النبوية

ينطلق التحليل الحجاجي للخطب النبوية من مراعاة مستويي الحجاج بداخل النص، والحجاج بالنص؛ إذ من خلال هذين المستويين تتضح القيمة الحجاجية الكاملة للنص، وكما هو معلوم فإن التحليل الحجاجي للنصوص، وليس للجمل يكاد يكون قليلاً جداً حتى في النظرية الحجاجية الغربية فكل تطبيقات الحجاج إنما كانت في إطار الجملة[٧١]، ويظل الدكتور أبو بكر العزواي من أوائل من حاولوا القيام بتحليلات حجاجية لنصوص لغوية كاملة، كما حاول ربط تحليله الحجاجي بانسجام النص، وهو يشير إلى أن المشكلة التي قد تظهر في بعض النصوص أننا قد نجد بعضها متوفراً على كثير من الروابط الحجاجية في حين نجد في بعضها الآخر قلة لتلك الروابط أو حتى غيابها [٧٢]، ولكن ذلك لا يعني اختفاء الحجاج من النص، وبناء على ذلك فإننا سنقوم بتحليل لكل نص من النصوص المختارة من الخطب النبوية؛ لنحاول أن نتتبع من خلاله كل المؤشرات الحجاجية في النص.

٣,١ تحليل الخطبة الأولى[٧٣]

بدأت هذه الخطبة بالمقدمة الجديدة التي تعلن صراحة خطاباً جديداً وانتقالا جديداً، ويمكن هيكلة هذه المقدمة حجاجياً كالتالي:

المعطى: أقدِّم بالحمد والاستعانة والإيمان والتوكل على الله والشهادة بأنه الإله الواحد لا شريك له.

قانون العبور: بناء على هذه المقدمة هنالك خطابة جديدة، ودين جديد، وقيم جديدة

ن ـــــ] الاستماع والاقتناع بنص الخطبة وحججها.

ثم انتقلت الخطبة إلى حجتها الرئيسة وهي إثبات الرسالة للرسول صلى الله عليه وسلم وكان ذلك من خلال ثلاث خطوات حجاجية متصاعدة بدأت الاحتجاج بالاستشهاد بالمثل العربي "الرائد لا يكذب أهله".

ويمكن صياغة الحجة الرئيسة للخطبة كالتالي:

المعطى: أنا مثل الرائد الذي لا يكذب أهله.

قانون العبور: تعلمون أنني صادق وأنني أحبكم لأنكم أهلي.

ن ـــــ] تصديقي فيما أقول.

ثم انتقلت الخطبة إلى التصريح بالحجة الرئيسة وهي "والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة" وفي المستطاع تغريضها لتكون الحجة الرئيسة بربطها بسياق المقام، فهي مدار الخطبة بأكملها إذا تمَّ التصديق بها فسيتمُّ التصديق بكل شيء يرتبط بها... وفي المعتقد أن القَسَم في بداية الحجة إضافة إلى وظيفته التأكيدية التوجيهية الإثباتية[٧٤] يحمل وظيفة نصية أخرى هي وظيفة الربط الحجاجي النصي القوي، بما يؤكد الحجة السابقة التمهيدية، كما تضمنت صيغة القسم التصريح بالمرُسل في الوقت نفسه وهو (الله تعالى)، وجرى ربط كل ذلك بالمعطى للحجة الذي هو جواب القسم ويمكن هيكلة هذه الحجة كالتالي:

المعطى: إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة.

قانون العبور: صدقوا أني رسول الله إليكم

ن ـــــ] في حالة تصديقكم أو في حالة عدم تصديقكم استمعوا لما سيحدث لكم تصاعدت الحجة في سلطة إقناعية هائلة تمثل إثباتاً للبعث بعد الموت، وللحساب

وللجنة الدائمة للمصدقين، وللنار الدائمة للمكذِّبين، وقد رُبطت هذه الحجة المتصاعدة بالرابط الحجاجي الإثباتي القوي ألا وهو لفظ القسم "والله" وقد اشتملت الحجة إضافة إلى كونها حجة سُلَّمية متصاعدة على سُلَّم حجاجي في داخلها؛ مما يذهب بالحجة إلى أقوى حالتها من خلال السُلم الحجاجي الرئيس

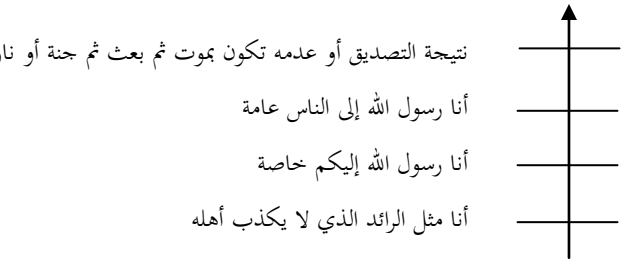

والحجة الثالثة في السُلم الحجاجي السابق التي أتت على شكل سُلم حجاجي تصاعدي أيضاً تثبت حجة الموت بتشبيهه بالنوم وحجة البعث بتشبيهه بالاستيقاظ، وبناء على هاتين الحجتين المركبتين يكون هنالك حساب بعد الموت ثم دخول أبدي إلى الجنة أو دخول أبدي إلى النار، ويمكن رسم السُلم الحجاجي كالتالي:

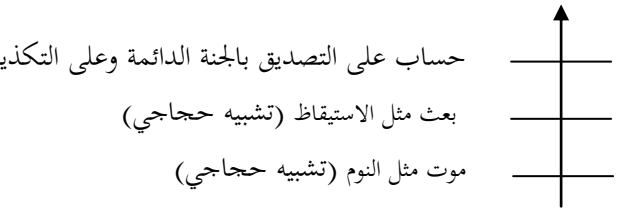

و هذا التصاعد في السُلم الحجاجي الأول متلواً بتصاعد حجاجي في السُلم الحجاجي الثاني يبلغ بالحجاج أقوى ذروة؛ فلا مجال بعد ذلك إلا للتصديق أو للاستكبار والرفض من غير قدرة على دحض الحجاج النبوي أو قدرة على رده

بحجاج آخر في مستواه، هذا سوى ما يحفل به النص من مؤكدات هي (إنّ – والله – إني – والله – ل – نّ – ل– نّ – ل – نّ – إنها – أبداً – أبداً)

كما احتوى النص على الحجاج بالاستشهاد بالمثل الذي يمثل قوة حجاجية؛ إذ هو مرتبط بالبيئة الصحراوية التي تعتمد على صدق الرائد حينما ترسله للبحث عن الماء والكلأ لينقذها من الهلاك، وهذا الاستشهاد بالمثل تتمثل قيمته أيضاً في أن المثل يعد مبدأ حجاجياً؛ لأنه يشير إلى الأفكار المشتركة بين أفراد مجموعة بشرية معينة، كما يتسم بالعمومية والتدرجية والنسبية التي هي سمات للمبادئ الحجاجية غالباً، هذا إضافة إلى أن الأمثال لها بنية دلالية منطقية من قبيل (إذا أ فإن ب)، ولكن المثل إضافة إلى كونه مبدأ حجاجياً، فإنه حينما يوظَّف في الخطاب؛ فهو يوظف باعتباره حجة، ولكنه ليس حجة عادية، إنه حجة قوية وحجة جاهزة[٧٥] وهو في النهاية حجاج بسلطة الاستشهاد بالقول المَثلي المنبثق من الذهن الجمعي.

كما نجد قوة حجاجية أخرى باستعمال علاقة التشبيه، أو ما يسمى الحجاج بالتشبيه لإثبات البعث بعد الموت بتشبيه الموت بالنوم، وتشبيه البعث بالاستيقاظ، ومثل هذين التشبيهين اللذين يكون فيهما المشبه به نمطاً أو أكثر نمطية من المشبه هي ما أجمعت على قوته النظريات البلاغية القديمة والنظريات الحديثة [٧٦]؛ إذ إنه يساعد على فهم المشبه واستيعاب أحواله، وعلى ذلك فاستعمال التشبيه هنا ذو وظيفة حجاجية تؤدي إلى الاقتناع بما يتعلق بالمشبه من أحكام[٧٧].

أما من حيث الروابط الحجاجية التي في هذا النص الحجاجي البليغ ذي القوة الحجاجية المضاعفة فتمثل في استعمال القسم (والله الذي لا إله إلا هو) كرابط نصي حجاجي إثباتي يقوم بعملية الربط والتأكيد في الوقت نفسه[٧٨] كما يتضمن إثبات

حجة الألوهية، وتمثل كذلك في استعمال العطف بالواو (ولتبعثن... ولتحاسبن... وإنها) هذه الواو العاطفة المكررة ساهمت في ربط نتيجة الحجاج في النص كاملاً؛ لتوضح أنه بعد الموت يكون هنالك حساب للمصدِّق، وعقاب للمكذِّب، وبذلك يمكن صياغة نص الخطبة في عبارة (**صدقوا أني رسول الله إليكم فمن صدقني فله الخلود في الجنة ومن كذبني فسيخلد في النار**) التي تمثِّل البنية الدلالية الكبرى للنص وهي تمثل انسجام النص حجاجيا ودلالياً في اللحظة ذاتها؛ إذ الحجاج يمكن صياغته في قضية (**إثبات صدق رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم**) ويكاد يتماثل المحتوى الحجاجي مع المحتوى الدلالي مما يجعل التماسك الحجاجي يزيد في قوة انسجام النص.

وقد أدى الحجاج بالإضافة إلى ذلك دوراً كبيرا في تماسك النص في مستوى ترابط ما فوق الجملة وفي مستوى الترابط التداولي بربطه بسياق المقام وتمثيله له من خلال الإحالة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال الضمير المستتر (أحمده – أستعينه – أؤمن – أتوكل – أشهد) والضمير الغائب (أهله)، وضمير المتكلم (إني) ونلحظ تدرجاً في استعمال الضمير من المستتر إلى الغائب إلى المتكلم وهو تدرج يزيد من قوة الحضور وقوة الحجاج أيضاً، كما تجلى الربط المتعلق بالرسول صلى الله عليه وسلم من خلال التصريح بوصفه بالرسالة (رسول الله) ومن خلال الاستبدال (الرائد)، أما المخاطبون فقد تمت الإحالة بكلمة (أهله) في المثل التي هي استبدال (للأهل الحقيقيين)، ثم تمت الإحالة إليهم بكاف المخاطب (إليكم)، وبدخولهم في عموم لفظ (الناس) ثم استمرت الإحالة إليهم بواو الجماعة محذوفة ثم مذكورة ثلاث مرات (تموتن...تنامون، تبعثن... تستيقظون، تحاسبن... تعملون)، وهذا الحذف وإن كان لالتقاء الساكنين وإن كان كذلك يمثل إحدى حالات الحذف النادرة للفاعل في

فعل (تموت) ونائب الفاعل في (تُبعث)، و(تُحاسب) في اللغة العربية إلا أنه يمثل اتساقاً معجزا مع ما يتضمنه من حركة للمعنى بين الموت والبعث والحساب كحالات غياب ومع ذلك تمثل حضورا قوياً بتأكيدها بنون التوكيد، وبين النوم واليقظة والعمل الذي يتم الحساب عليه حيث تمثل حالات حضور.

وبالإضافة إلى نص هذه الخطبة المشهورة فقد وردت روايتان صحيحتان إحداهما فيها هذا النص " **أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا فنزلت: (تبت يدا أبي لهب وتب * ما أغنى عنه ماله وما كسب)** "[٧٩] والأخرى فيها هذا النص " **انطلق نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى رضمة من جبل فعلا أعلاها حجراً ثم نادى يا بني عبد مناف إني نذير إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يربأ أهله فخشي أن يسبقوه فجعل يهتف يا صباحاه** "[٨٠]

وفي الرواية الأولى تتجلى الإستراتيجية النبوية في تحويل بنية الخطبة العليا لنص الخطبة لتكون بنية عليا مفتوحة رغبة في تقوية الحجاج، وقد بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم بالاستفهام ليزيد من جذب المستمعين، ثم حاول أخذ إقرار من المستمعين بأنه صادق بوساطة استعمال الحرف (لو) الذي يدل على ما كان سيقع لوقوع غيره، فلو أنه حذَّرهم من أن هجوماً سيقع عليهم ماذا ستكون النتيجة تصديق الرسول أو تكذيبه فأقروا جميعاً أنهم سيصدِّقونه؛ لأنه لم يكذب أبداً، وهنا انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى تحذيرهم من عذاب الله – إذا لم يصدِّقوه – وبناء على ذلك فقد ألزمهم الحجة، ولم يعد لأبي لهب إلا التعدي على الرسول صلى الله عليه وسلم بشتمه؛ فنزل القرآن ليبين أن أبا لهب هو الذي تب أي خسر ولن يغني عنه ماله ولا

ما كسبه في هذه الحياة الدنيا؛ لأنه سيصلى النار لعدم تصديقه برسالة الرسول صلى الله عليه وسلم، ويمكن أن نلحظ في هذه الرواية الأولى أن الرسول صلى الله عليه وسلم استعمل إستراتجية الاستفهام الحجاجي، والاستفهام الحجاجي هو كل استفهام يخرج عن غرض الاستفهام الأصلي ليؤدي وظيفة أخرى، فإذا كان في مقام حجاجي زاد من قوة الحجاج وبلغ بها الذروة القصوى، وهذه الإستراتجية استعملها إبراهيم عليه السلام فأخرج الاستفهام عن وظيفته الأساسية في مقام حجاجي، ولكن إبراهيم عليه السلام أخرج الاستفهام مخرج الإنكار، فبدأ بهجوم حجاجي قوي جداً أدى هذا الهجوم الحجاجي القوي الذي لم يجد قومه له رداً إلا أن يحرقّوه في النار لنصرة الآلهة، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم بدأ باستفهام خرج عن وظيفته الأصلية إلى التشويق، وهذا الاستفهام الخارج عن استفهاميته إلى التشويق تتضاعف فيه قوة الاستفهام؛ إذ الاستفهام محرِّك للنفس، والتشويق محرِّك لها أيضاً؛ وعلى ذلك فإن الحجاج الذي يأتي بعد هذا النوع من الاستفهام يكّون بؤرة ومركزاً للاهتمام الشديد به (أرأيتكم لو...) ثم أتى بالاستفهام على حقيقته من بعدُ؛ ليأخذ من ألسنتهم الجواب (أكنتم مصدقي)، ولكنه لم يبدأ بالهجوم على آلهتهم فقط أخبرهم بأنه نذير لهم بين يدي عذاب شديد أي أنهم لا بد أن يصدِّقوه بأنه رسول الله وأنه لا إله إلا الله؛ وبناء على هذا التصديق تكون الخطوة التالية هي رفض عبادة الأصنام.... فلما لم يؤمنوا كانت حجة إبراهيم الواردة في القرآن الكريم حجة مضافة إلى حجة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ مما بلغ بالحجاج النبوي غاية ليس بعدها غاية.

ونلحظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم استعمل السُلم الحجاجي في هذه الرواية أيضاً، وهذا يدل على ملكة حجاجية عالية جداً...

ويمكن صياغة الهيكل الحجاجي لهذه الرواية كالتالي:

المعطى: الإخبار بهجوم خيل على قريش على سبيل الافتراض.

قانون العبور: بناء على الإخبار ماذا يكون موقفكم.

ن ـــــ] تصديقي (بناء على إجابتكم).

المعطى: إنني أحذركم من عذاب الله الشديد.

قانون العبور: بناء على صدقي الذي تعرفونه صدقوا تحذيري.

ن ـــــ] صدقوني

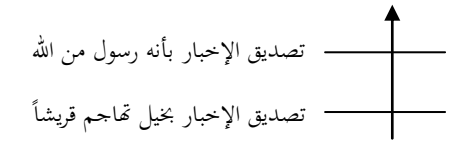

أما في الرواية الأخرى فقد استعمل الرسول صلى الله عليه وسلم الحجاج بالتمثيل ليوضِّح لهم خطر الأمر الذي هم بصدده، وقد كانت صورة التمثيل صورة حركية تستحضر مشهد هجوم سريع على قومه، فلما علم به أراد تحذيرهم، ولكنه خاف وصول العدو إليهم قبل أن يصل هو، فما كان منه إلا رفع صوته عاليا ليسمعوا تحذيره ويأخذوا استعدادهم، وفي هذا الحجاج التمثيلي أوضح الرسول صلى الله عليه وسلم مدى حبه الشديد لقومه ولنجاتهم، كما أوضح خطر ما هم فيه من الاستمرار في عبادة الأصنام وترك عبادة الديان، وأن القضية ليست قضية عادية، بل هي قضية ذات شأن كبير، إذ هي تمثل الهلاك أو النجاة.

إن رسم المشهد بهذه الدقة وبهذه الحركة السريعة، وما يترتب على هذا المشهد؛ ليدل على قوة حجاجية أتت في صورة استعارية؛ تستجلب تفاعل المتلقي... لتزيد من قوة الحجاج وقوة أثره في نفس السامع بما لا يقدر على رده. ويمكن صياغة هيكلة الحجاج على النحو الآتي:

المعطى: أنا مثل رجل يحذركم من عدو فلما خاف أن يصل إليكم العدو حذركم بصوت مرتفع.

قانون العبور: بناء على ذلك صدقوني لأنكم ستهلكون إن لم تصدقوني.

ن ـــــ] صدقوني في ما جئت به من الرسالة والإنذار من عذاب الله الشديد.

٣,٢ تحليل الخطبة الثانية[٨١]

إن الموقف السياقي لانتقال الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة واستقبال الناس له هنالك بالتصديق والنصر والتأييد يختلف عن الموقف السياقي في مكة الذي كان موقفاً تتحكم فيه قوة عرض الحجة لإثبات الرسالة ولتصديقه في نبوته. فماذا سيُقدَم من حجاج في هذا الموقف الجديد؟

إن الحجاج الجديد سيتوجه إلى تأكيد إثبات رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم مرة أخرى ولكن بوجه غير مباشر لا مناص معه إلا تأكيد التصديق وترسيخه في النفوس، والعمل على اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وقد تجلى ذلك في:

أولاً: البدء بحمد الله والثناء عليه بمقدمة تمهيدية حجاجية وبخاتمة وظيفتها دعم الحجاج الكلي، وهما ترسخان للقطيعة مع الخطابة التي كانت قبل الخطابة النبوية، كما تهيئان للمبدأ الحجاجي الجديد الذي تدور في فلكه كل الحجج الجديدة...

ثانياً: الحجاج باستعمال القضية الكبرى أو الحقيقة المفجعة التي تواجه الإنسان، ألا وهي حقيقة الموت، وما يترتب عليه من بعث ومن سؤال عن تبليغ الرسول للرسالة، وهنا لا مجال إلا للإيمان أو الكفر، ولا مجال إلا لافتداء الإنسان لنفسه بالعمل الصالح وعمل البر، ولو كان جزءا من تمرة أو حتى كلمة طيبة؛ لأن الله يضاعف بالكلمة

الطيبة الأجر عشر مرات إلى سبعمائة ضعف فكيف بغيرها من العمل، فهنالك ترهيب وترغيب في الوقت نفسه، والعاقل من دان نفسه وعمل لما بعد الموت.

وهنا يحث الحجاج بالموت والبعث على أداء الأعمال والأقوال الصالحة؛ لأن الدنيا ستفنى فجأة ويتركها الإنسان وهي لم تكتمل لينتقل حيث تكتمل حياته الأخروية من خلال اتباعه للرسول صلى الله عليه وسلم، وكانت هذه النقلة الحجاجية حول أداء العمل مناسبة للموقف، ولكن ما جعلها تبلغ الغاية في القوة الحجاجية هو ربطها بحجاجية إثبات الرسالة للرسول صلى الله عليه وسلم الذي أخبر بالبعث ودعا إلى هذه الأعمال، فهي تمثِّل حجاجاً خفياً ينسرب إلى النفوس، واستعمال مثل هذا الحجاج الخفي يدل على مقدرة حجاجية فائقة قلّ أن توجد، ويمكن صياغة الهيكلة الحجاجية لنص هذه الخطبة كالتالي:

المعطى: الأمر بالتقديم للنفس.

قانون العبور: لأن التقديم للنفس يقي من النار.

ن ـــــ] التقديم للنفس.

ويمكن أن نصل إلى الحجاج الخفي في ترسيخ إثبات رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال هيكلة الحجاج على النحو الآتي:

المعطى: أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن التقديم للنفس يقي من النار (ألم يأتك رسولي فبلغك).

قانون العبور: يجب التصديق برسالة الرسول لأنه المبلغ بذلك.

ن ـــــ] التصديق برسالة الرسول والتقديم للنفس.

أما الأدوات التي أسهمت في تأكيد الحجاج في النص، فهي استعمال القسم كرابط حجاجي نصي بين المعطى وقانون العبور (والله) كما أنه يفيد التوكيد في الوقت نفسه تكرار نون التوكيد ست مرات (تعلمن – ليصعقن – ليدعن – ليقولن – فينظرن – لينظرن)، واقترنت نون التوكيد باللام الموطئة لجواب القسم في الفعل المضارع أربع مرات لتزيد في قوة التأكيد وقوة تحقق ما يقوله الرسول صلى الله عليه وسلم، كما تسهم في تماسك النص.

٣,٣ تحليل الخطبة الثالثة[٨٢]

يتجلى في هذه الخطبة ما أسست له الخطبة النبوية من بنية جديدة مفتوحة تتيح الحوار في أثناء نص الخطبة، ومن شأن ذلك أن يقوي جانب الإقناع عند المتلقين، وقد وردت هذه الخطبة في سياق التحذير من التنافس على الحياة الدنيا... وأن النعم قد تكون سبباً في جلب النقمة[٨٣]

وقد دار الحجاج في هذه الخطبة حول قيام رجل من الصحابة بسؤال مؤداه: هل يمكن أن تؤدي بركات الأرض والمال وزهرة الدنيا التي هي خير ونعم إلى الشر؟

وكان رد الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن سكت فترة لزيادة تشويق الناس إلى الاستماع[٨٤] باستفهام استنكاري حجاجي، وكرره ثلاث مرات محصِّله أنه ليس خيراً لأن الخير لا يأتي إلا بالخير

ويمكن صياغة الهيكلة الحجاجية في الحديث النبوي على النحو الآتي:

المعطى: التحذير من زهرة الدنيا والأموال لأنها شر إذا أدت إلى الشر.

قانون العبور: بناء على ذلك يجب الحذر منها.

ن ـــــ] النجاة.

ولكن هنالك حجة تفهم من سياق الحجة الأولى كالتالي:

المعطى: الترغيب في الدنيا واكتساب المال لأنها قد تكون خيراً إذا أدت إلى خير.

قانون العبور: بناء على ذلك يجب أن يأخذ من الدنيا وزهرتها بقدر إذا أدت إلى الخير.

ن ـــــ] النجاة.

ولتقوية نتيجة الحجتين الظاهرة والمضمرة ضرب الرسول مثلاً محسوساً من الحياة الرعوية التي يعرفها كل المتلقين للخطبة، فشبه المال بالعشب الأخضر الذي تأكله البهائم في الربيع، وأن بعضه قد يقتل الحيوان، أو يقرِّبه من القتل إلا الناقة التي تأكل أكلاً خفيفاً فتنتفخ ثم تجتر وتتخلص من الزائد من الطعام، حتى تستريح ثم تواصل طعامها.

وهذا التشبيه كان بمجمله معطى حجاجياً استثمر مبدأ حجاجياً هو الخبرة الرعوية المشتركة للسامعين

وقانون العبور لهذا المعطى: أنه لا ضير في كسب المال الخير، لأنه يكون نعم صاحب المسلم بشرط أخذه بحقه والإنفاق منه في سبيل الله واليتامى والمساكين.

وسوف تكون النتيجة الاستمتاع به في الدنيا والنجاة في الآخرة.

وبناء على ذلك فقد أوضح الرسول صلى الله عليه وسلم السؤال المشكل على الصحابي، وأعلمه أن الخير لا يأتي إلا بالخير وأن الشر لا يأتي إلا بالشر، فالربيع، وإن كان خيراً كما يعرف ذلك الناس، إلا أنه قد يقتل أو يقرِّب من القتل؛ ولأجل ذلك فإن الناقة التي تأكل منه قدر حاجتها ثم تتخلص من الزائد فلن يؤذيها، لكن الشره في الأكل قد يؤدي بالبهيمة إلى الموت، وكذلك المال الذي أُسند إليه الخضرة

والحلاوة (إن هذا المال خضرة حلوة) فكأنه هو هو العشب وأن الذي يشره في جمعه ويمنعه عن المستحقين قد حوله بعمله إلى شر؛ فسيؤدي به إلى الشر والعكس الصحيح، فالذي يأخذ منه ما ينفعه، وينفق منه سيتمتع بحلاوته وسيؤدي به إلى الخير، فالمدار في تحويل الأشياء المباحة إلى خير أو إلى شر هو طريقة استعمالها، وقد وصل الإقناع هنا غايته من خلال أمرين: الأول منهما فتح المجال لإمكانية الحوار في الخطبة النبوية، بل سؤال الرسول عن الرجل السائل أمام الناس ليجيبه، والثاني منهما ضرب المثل التقريبي وهو أسلوب قرآني يؤدي إلى الإقناع الشديد كما أن استعمال أسلوب الاستعارة في هذا المثل التقريبي يسهم في تكوثر الحجاج بحسب عبارة د. طه عبدالرحمن الذي يجعل الذوات الخطابية التي تشترك في بناء القول الاستعاري أربع لكل منها وظيفة خطابية متميزة: الذات المظهرة (بكسر الهاء)، والذات المؤولة (بكسر الواو المشددة)، و(الذات المضمرة) بكسر الميم و (الذات المبلغة) بكسر اللام المشددة... ثم إن الاستعارة هي أبلغ وجوه تقيد اللغة بمقام الكلام... الذي يتكون من المتكلم والمستمع ومن أنساقهما المعرفية والإرادية والتقديرية ومن علاقاتهما التفاعلية المختلفة... فتكون الاستعارة بذلك أدعى من الحقيقة لتحريك همة المستمع إلى الاقتناع بها والالتزام بقيمها[٨٥]

وذلك يدلنا دلالة واضحة على امتلاك الرسول صلى الله عليه وسلم لوسائل الإقناع الحجاجي، واستعمالها المتميز في الخطبة النبوية.

٣,٤ تحليل الخطبة الرابعة[٨٦]

تمثل هذه الخطبة أهمية قصوى؛ لأنها جاءت في ظرف سياسي وظرف عسكري عصيب، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فهي توضِّح في الرسول صلى الله عليه

وسلم جانباً من مقدرته المتميزة في حل المشكلات الكبيرة؛ لأجل ذلك فقد واجه الرسول صلى الله عليه وسلم الأنصار سريعاً ليتأكد من مقالتهم حينما غضبوا؛ لأن الرسول أعطى قومه من الغنائم فأكثر فيهم ولم يعط الأنصار، وأوضح أنه قد بلَغه حديثهم، وأوضح أن السبب هو تأليف بعض الناس على الإسلام، وقد عرف الرسول صلى الله عليه وسلم أن الأمر لا يستدعي ذكر السبب فحسب؛ بل لابد وضع العلاقة مع الأنصار بكاملها أمامهم ليزيد من فاعلية عملية الإقناع الحجاجي.

المعطى: تأليف قلوب بعض الناس ثم العطاء لهم.

قانون العبور ١: تقوية لإسلامهم.

ن ـــــ] أما أنتم أيها الأنصار فإسلامكم قوي بل أنتم مؤمنون.

قانون العبور٢: لاتحتاجون أن نعطيكم ما يتألفكم على الإسلام.

ن ـــــ] الرضا بعدم الإعطاء.

ولكن الرضا بعدم الإعطاء قد يكون صعباً؛ فلأجل ذلك تتحول النتيجة إلى معطى حجاجي يتم إقناعهم عن طريق شرح علاقة الرسول بهم وفق تقديم تدرج في قانون العبور إلى الرضا يتخذ عدة مستويات على السُلم الحجاجي على النحو الآتي:

علاقة الأنصار بالرسول صلى الله عليه وسلم

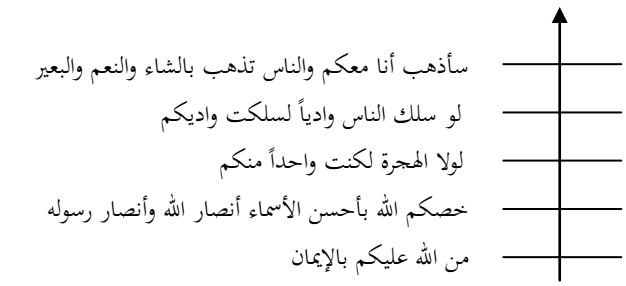

ن ـــــ] الرضا؛ وبناء على هذه الحجج التي قدمها الرسول صلى الله عليه وسلم في قانون العبور كان ردُّ الأنصار على الرسول صلى الله عليه وسلم بالرضا، ويمكن أن يُلحظ أن الصورة البصرية لمقارنة عودة الرسول معهم، وعودة بقية الناس بالشاء والنعم والبعير هي صورة ساعدت كثيراً في اقتناعهم؛ إذ لا مجال للمقارنة أبداً، ويمكن تسمية هذا النمط من المقارنة الحجاجية بمقارنة (انتفاء المقارنة) وهي إحدى أهم الإستراتجيات الحجاجية التي تؤدي إلى الاقتناع السريع، إذن فليس هنالك إلا الرضا والحبور بخاتم الأنبياء والمرسلين الذي يعود به الأنصار إلى ديارهم دون الناس.

بيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقتنع منهم بهذه الإجابة؛ إذ كان يريد منهم إجابة تشرح موقفهم بجلاء ليزيدهم إقناعاً، فما كان من الأنصار إلا أن ردوا على الرسول بما يؤكد رضاهم.

المعطى: اقتناع الأنصار بحكم الرسول صلى الله عليه وسلم.

قانون العبور: يتخذ قانون العبور لهذا الاقتناع شكل سلم حجاجي.

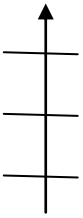

وجدتنا ضلالا فهدانا الله بك.

وجدتنا على شفا حفرة فأنقذنا الله بك.

وجدتنا في ظلمة فأخرجنا الله بك إلى النور.

ن ـــــ] اصنع ما شئت في أوسع الحل.

لكن الرسول صلى الله عليه وسلم بيَّن لهم أنهم إذا أتوا بحجج أخرى تؤيد عدم رضاهم فسوف يصدِّقهم أيضاً؛ مما يدل على أنه مدرك لموقفهم وكأنه واحد منهم؛ ولذا فإن الهيكلة الحجاجية يمكن أن تتخذ هذا المنحى الافتراضي:

المعطى: عدم الاقتناع بإعطاء الناس من قريش وغيرهم وحرمان الأنصار.

قانون العبور: يتخذ سلماً حجاجيا على الشكل الآتي مع ملاحظة أن من صاغ هذا الحجاج لهم هو الرسول صلى الله عليه وسلم وقد وضع بهذه الكيفية ليدل على أقصى حالات الاقتناع بموقفهم ولكن هنالك حالة أهم توجب عليه فعل ما فعل هي تبليغ رسالة ربه والحرص على إسلام بقية العرب.

ويمكن صياغة هذا السلم الحجاجي لقانون العبور على النحو الآتي:

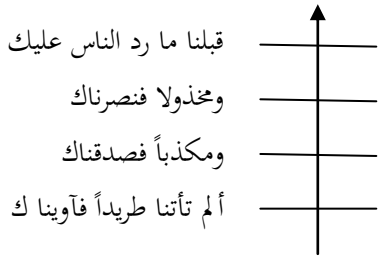

إن السُلم الحجاجي هو إحدى أكثر وسائل الإقناع قوة، وقد استعمله الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه ليوضح أنه مقتنع بموقفهم، ولكن الشأن شأن آخر يتعلق برسالة السماء، وبناء على كل ذلك ما كان من الأنصار إلا الاقتناع التام بحكم الرسول صلى الله عليه وسلم

ن ـــــ] بل لله ورسوله المن ولرسوله المن والفضل علينا وعلى غيرنا ثم بكوا فكثر بكاؤهم وبكى النبي صلى الله عليه وسلم معهم. إنه اقتناع تام تام تام فالأمر أمر رسالة للرسول صلى الله عليه وسلم فيها دور المبلِّغ، ولهم دور النصرة والفوز برضا الله.

وقد تبنى الرسول في موقفه مع الأنصار ما يسمى بإستراتجية الحجاج المضاد ولكن هذا الحجاج المضاد لم يستعمل بالطريقة التي تستعمل عادة في الحجاج من تبني وجهة الطرف الآخر المحاجج مؤقتا للقيام بنقضها، وإنما كان حجاجاً مضاداً من نوع

خاص يهدف إلى تبني وجهة النظر الأخرى وتصديقها تماماً، بل تأييدها مع شرح المانع من العمل بمقتضاها في الوقت نفسه؛ مما يجعل الطرف الآخر يقتنع إذا علم الصدق والإدراك الحقيقي لشعوره ولوجهة نظره، ويجعله يتفهم ويتلمس أسباب القبول لوجهة النظر الأخرى، ويسمى د. طه عبدالرحمن هذا النوع من أنواع الحجاج بالحجاج التقويمي ويرى أنه يأتي في مرحلة أعلى من الحجاج التوجيهي عندما يظهر أن العلاقة الاستدلالية قد لا يوفي بتمامها الحجاج التوجيهي الذي يتضمن فعل إيصال المستدل لحجته إلى غيره، أما الحجاج التقويمي فهو يقوم على إثبات الدعوى اعتمادا على قدرة المستدل على أن يجرد من نفسه ذاتاً ثانية ينزلها منزلة المعترض على دعواه[٨٧]، ويلمس د. طه عبدالرحمن هنا مسألة إعداد الحجاج حيث يقوم المستدل بوضع افتراضي لنفسه في مكان الطرف الآخر يجرِّد من نفسه متلقياً للحجة، وبناء على هذا التجريد يحاول أن يبني حجته بناء أقوى، ولكن ما هو موجود لدينا في هذه الخطبة النبوية أن الرسول صلى الله عليه وسلم صرَّح بحجة الأنصار المتوقَّعة مخبراً لهم بموافقته على حجتهم عارضاً الجانب الآخر لحجته؛ مما جعل الحجاج في هذه الخطبة يصل إلى درجة قصوى من الإقناع.

وتنبغي الإشارة هنا مرة أخرى إلى دور البنية الجديدة في فتح إمكانية الحوار في الخطبة النبوية؛ إذ إن هذه الإمكانية تؤدي إلى مزيدٍ من الاقتناع، وتعد تجديداً في بنية الخطبة العربية على وجه العموم،هذا إضافة إلى المكون الحجاجي للمقدمة حيث بدئت الخطبة بحمد الله عز وجل.

٣,٥ أنواع الحجاج في الخطب النبوية.

تظهر في نصوص الخطب التي اتخذها البحث أنموذجاً للحجاج في الخطب النبوية إستراتيجيات حجاجية، وأنواع من الحجج المختلفة، وحتى تكتمل أبعاد

الدارسة الحجاجية لابد من الإشارة إلى تلك الأنواع الحجاجية التي توفرت في النصوص المدروسة.

وبصفة عامة فإن نوعية الحجاج تعتمد على ناحيتين: الناحية الأولى هي قوة الحجة، وهو ذلك الحجاج الذي ينصب على مناقشة احتمالات النتيجة، والناحية الأخرى هي الحجة المعتمدة على الترغيب في النتيجة [٨٨]، أو الترهيب من العواقب، ولعل هذا النوع هو ما تصنفه بعض الدراسات الحجاجية على أنه من الحجاج التحفيزي أو ما يسمى Motivational argument؛ **لأنه** يعتمد على العاطفة[٨٩]، وعلى الرغم من تعدد الحجج واختلاف أنواع الحجاج، فإنه يمكن الإشارة إلى أربع تقنيات رئيسة تتكرر كثيراً في الحجاج، وتلك التقنيات الحجاجية هي كالتالي:

١- تقديم علة أو سبب أو تفسير.

٢- عمل مقارنة أو مشابهة.

٣- تقديم مثال أو شاهد.

٤- تسمية مصدر لسلطة ما "[٩٠]

ولو أنعمنا النظر في نصوص الخطب النبوية التي اتخذها البحث أنموذجاً للدراسة فإننا نجدها استعملت نوعي الحجاجي القوي المعتمد على ببان احتمالات النتيجة وفقاً لمقتضيات التفكير المتبصر، ونوع الحجاج التحفيزي المعتمد على الترغيب أو الترهيب، ليتناسب كل نوع مع أنواع المتلقين المختلفين؛ فالمقارنة في الخطبة الأولى بين الإخبار بهجوم خيل على قريش والإخبار بأن الرسول نذير بين يدي عذاب شديد هي مقارنة تستدعي التفكير والتبصر، وحينما يحاجج الرسول الأنصار في مسألة عدم إعطائهم من غنائم معركة حنين هو حجاج يعتمد على المقارنة بين الأنصار وبين غيرهم...

وفي الوقت نفسه فإن الترغيب بثواب الله والتحذير من عقابه في المقدمة الحجاجية في كل نص خطابي، إضافة إلى استعمل هذا الحجاج في أثناء الحجاج داخل النص يؤدي إلى تقوية الحجاج بشكل عام، وإلى شموليته لجميع المخاطبين؛ ولذا فإن الرسول في الخطبة الأولى يشير إلى الجنة والنار، وكذلك في الخطبة الثانية يشير إلى مسألة البعث والحساب، وإلى التقديم للنفس للحصول على ثواب الله والنجاة من عقابه، ومثل ذلك في الخطبة للأنصار فهو يشير إلى مكانتهم عنده وعند الله سبحانه وتعالى.

ولو أردنا أن نمثل لتقنيات الحجاج، أو أنواعه من خلال نصوص الخطب السابقة فسنجد حجاجاً **بتسمية مصدر سلطة** تمثل في التشديد على طاعة الله، والتحذير من مخالفة أمره، ويتضمن كل الحجاج النبوي دائما التذكير بهذه السلطة الإلهية إنْ في المقدمة أو في أثناء الحجاج، كما نجد شكلاً من أشكال استعمال الحجاج **بسلطة القول** في الخطبة الأولى؛ حيث تم استعمال المثل العربي "**عن الرائد لا يكذب أهله**"، كما نجد الحجاج **بذكر النتيجة أو الغاية** في الخطبة الأولى "**إنها الجنة أبداً أو النار أبداً**"، وفي الخطبة الثانية "**ثم ليقولنَّ له ربه ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه: ألم يأتك رسولي**"، وفي الخطبة الثالثة "**ويكون عليه شهيداً يوم القيامة**"، وفي الخطبة الرابعة "**أفلا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والنعم والبعير وتذهبون برسول الله**"

ونجد أيضاً حجاجاً **بالتفسير أو الشرح** في الخطبة الثالثة حين "**قام رجل فقال: يا رسول الله أو يأتي الخير بالشر؟ فسكت عنه النبي صلى الله عليه وسلم، قلنا يُوحى إليه، وسكت الناس كأن على رؤوسهم الطير، ثم إنه مسح عن وجهه الرحضاء فقال: "أين السائل آنفاً أو خيرٌ هو – ثلاثا – إن الخير لا يأتي إلا بالخير، وإنه كلُّ ما يُنبت الربيع ما يقتل حَبَطا، أو يُلمُّ إلا آكلة الخضراء أكلت حتى إذا امتدت خاصرتاها استقبلت الشمس ثم اجترَّت فَثَلَطَت**"؛ حيث أوضح له الرسول صلى الله

عليه وسلم أن المال قد يكون خيراً، كما قد يكون شراً بحسب استعمال الإنسان له، لكن الخير لا يأتي إلا بالخير، وأخبره أن كثيراً من الأمور قد يتوهم الناس أنها خير ولكن في الحقيقة قد يكون فيها شر، وهنا أتى الرسول صلى الله عليه وسلم بحجاج اعتمد فيه على مضارعة وتشبيه تمثيلي تصويري يستجلب الصورة بعناصرها المتعددة والمتحركة أمام المتلقي وكانت هذه الصورة البليغة أو **الحجاج الاستعاري**[٩١] أكثر تأثيراً في نفوس المتلقين؛ لأنه مأخوذ من الحياة الرعوية للبهائم التي ترعى من الربيع الذي قد يكون فيه حتفها.

إن الخطبة النبوية قد بلغت الغاية القصوى في المقدرة الحجاجية، ولا غرو في ذلك فالرسول صلى الله عليه وسلم أفصح العرب، وأخطب العرب، كما أن الخطبة النبوية شكلت نموذجها الحجاجي الخاص بها الذي زادها قوةً، على قوة وزادها نوراً على نور، ويمكن أن نجمل هذا النموذج بناء على ما تناوله هذا البحث من خلال الشكل الآتي:

أنموذج الحجاج في الخطبة النبوية

التقسيم الحجاجي للخطبة النبوية التحليل الحجاجي للخطبة النبوية

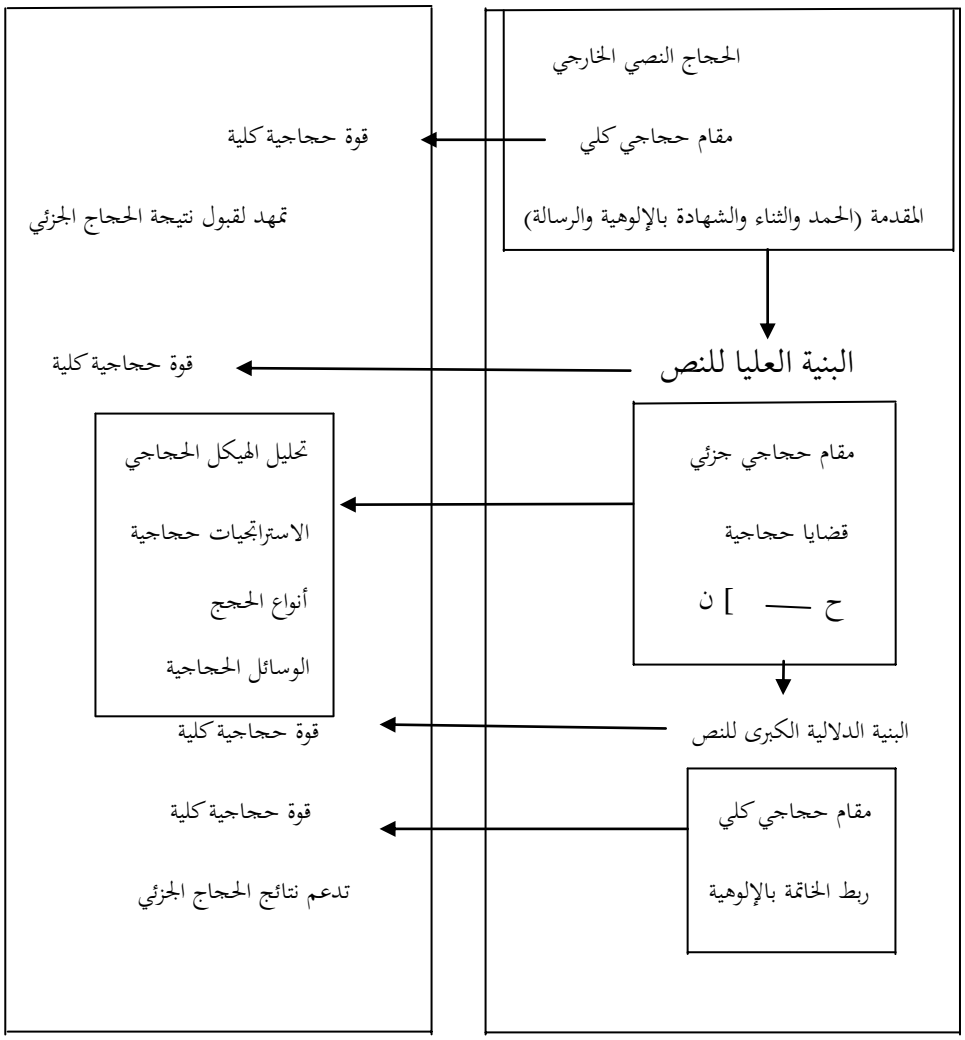

الخاتمة

لا ريب في أن النبي صلى الله عليه وسلم مؤيد بتأييد الله وبوحيه، ولا شك أن النبوة مرتبة عظيمة لها خاصيتها...، بيد أن الخطاب النبوي لابد وأنه قد استعمل أدوات الخطاب البشري لتبليغ الرسالة وللتأثير في الناس، ومن هنا كانت هذه الدراسة حول الحجاج في الخطب النبوية معتمدة على درس هذا الخطاب النبوي وفقاً لمبادئ وأساليب دراسة اللغة الطبيعية للناس؛ لتحلل الحجاج النبوي، ولتحاول إدراك شيء من سر عظمته وإعجازه...

وقد تطرق البحث للحجاج في الخطبة النبوية إلى الأيتوس الخطابي والماقبل خطابي وأهميتهما في الإقناع، ثم انتقل البحث إلى بيان المسار الحجاجي للخطبة النبوية، ثم قام البحث بتحليل حجاجي لبعض الخطب النبوية...

أما أهم النتائج التي توصل إليها البحث فهي كالآتي:

أولاً: أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يملك قدرة خطابية وحجاجية عظيمة جداً، وكان يملك معرفة بأبعاد السياق الاجتماعي والنفسي للمخاطبين؛ مما جعله يتمكن من إقناع الناس وتبليغ الرسالة.

ثانياً: أن الخطبة النبوية تميزت عن سائر الخطب في أنها رسمت البنية العليا للخطابة الإسلامية عموماً من خلال وضع المقدمة والخاتمة اللتين أدتا في الوقت نفسه وظيفة حجاجية تمثَّلت في التذكير بالمبدأ الحجاجي الجديد الذي يختلف عن المبادئ الحجاجية في الجاهلية.

ثالثاً: أن الخطبة النبوية استطاعت أن تجدد في بنية الخطبة العليا وفي نص الخطابة بإدخال إمكانية الحوار مع الخطيب، وهذا التجديد في فتح الحوار الثنائي الجزئي في أثناء الخطبة كان ذا وظيفة حجاجية أسهمت في قوة إقناع الخطبة النبوية.

رابعاً: اتضح من خلال تحليل بعض الخطب النبوية أن الحجاج في الخطبة النبوية قد وجدت فيه أكثر أنواع الحجاج، كما اتضح أنه اعتمد في الحجاج على استعمال السلالم الحجاجية؛ مما يعطي الحجاج في الخطبة النبوية قوة حجاجية كبيرة.

خامساً: اتضح من خلال تتبع بعض الروابط الحجاجية في نصوص الخطب المدروسة أن الروابط في الحجاج الذي يهتم بتحليل النص قد تختلف عن الروابط في الحجاج المعتمد على تحليل الجملة، ولأجل ذلك فقد عددنا القَسَم في بعض حالاته وعند اقترانه باللام الموطئة لجواب القَسَم رابطاً حجاجياً نصياً في اللغة العربية.

وأخيراً، فإن من المؤكد أن الدراسات الحجاجية في اللغة العربية لّما تزل في البدايات، وأن هذه المحاولة البحثية لدراسة الحجاج النبوي لا يمكن أن تحيط بجميع جوانب الحجاج النبوي؛ لأجل ذلك فإن البحث من طموحه أن يكون حافزاً ومشجعاً للباحثين في اللسانيات وفي البلاغة على الاهتمام بدراسات الحجاج في التراث العربي، وعلى وضع كثير من التساؤلات وكثير من القضايا أمام ناظريهم.

ملحق

نصوص الخطب النبوية المدروسة

الخطبة رقم (١) أول خطبة للنبي صلى الله عليه وسلم بمكة:

" الحمد لله أحمده، وأستعينه، وأؤمن به، وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. إن الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس عامة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسَبُنّ بما تعملون، وإنها الجنة أبداً أو النار أبداً "[٩٢]

الخطبة رقم (٢) أول خطبة للنبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة:

عن أبي سلمة قال: كانت أول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة أنه قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد أيها الناس فقدِّموا لأنفسكم، تعلمن والله ليُصَعَقنَّ أحدكم، ثم لَيَدَعنَّ غنمه ليس لها راع، ثم ليقولَنَّ له ربه ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه: ألم يأتك رسولي فَبَلَّغَك، وآتيتك مالاً، وأفضلتُ عليك، فما قَدَّمت لنفسك؟ فينظرنَّ يمينا وشمالاً فلا يرى شيئاً، ثم لينظرنَّ قُدَّامه فلا يرى غير جهنم، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة، فإن بها تُجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسلام عليكم وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورحمة الله وبركاته.[٩٣]

الخطبة رقم (٣)

عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال: " إنما أخشى عليكم من بعدي ما يُفتح عليكم من بركات الأرض " ثم ذكر زهرة الدنيا فبدأ بإحداهما وثنّى بالأخرى..، فقام رجل فقال: يا رسول الله أو يأتي الخير بالشر؟ فسكت عنه النبي صلى الله عليه وسلم، قلنا يُوحى إليه، وسكت الناس كأن على رؤوسهم الطير، ثم إنه مسح عن وجهه الرحضاء فقال: " أين السائل آنفاً أو خيرٌ هو – ثلاثا – إن الخير لا يأتي إلا بالخير، وإنه كلُّ ما يُنبت الربيع ما يقتل حَبَطا[٩٤]، أو يُلمُّ إلا آكلة الخضراء أكلت حتى إذا امتدت خاصرتاها استقبلت الشمس ثم اجترَّت فَثَلَطَت[٩٥] وبالت ثم رتعت. وإن هذا المال خَضرة حلوة، ونعم صاحب المسلم لمن أخذه بحقه فجعله في سبيل الله واليتامى والمساكين، ومن لم يأخذه بحقه فهو كالآكل الذي لا يشبع، ويكون عليه شهيداً يوم القيامة "[٩٦]

الخطبة رقم (٤)

عن السائب بن يزيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم الفيء الذي أفاءه الله بحنين من غنائم هوازن فأحسن فأفشى في أهل قريش وغيرهم فغضبت الأنصار، فلما سمع بذلك النبي صلى الله عليه وسلم أتاهم في منازلهم ثم قال: مَن كان ههنا من الأنصار فليخرج إلى رحله، ثم يشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم "

فحمد الله عز وجل ثم قال: " يا معشر الأنصار قد بلغني من حديثكم في هذه المغانم التي آثرتُ بها أناساً أتألَّفهم على الإسلام، لعلهم أن يشهدوا بعد اليوم، وقد أدخل الله في قلوبهم الإسلام ".

ثم قال:" يا معشر الأنصار: ألم يُمنّ الله عليكم بالإيمان وخصَّكم بأحسن الأسماء: أنصار الله، وأنصار رسوله..، ولولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً وسلكتم وادياً لسلكت واديكم، أفلا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والنعم والبعير، وتذهبون برسول الله صلى الله عليه وسلم؟"

فلما سمعت الأنصار قول رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: رضينا.. فقال صلى الله عليه وسلم: "أجيبوني فيما قلت".

فقالت الأنصار: يا رسول الله: وجدتنا في ظلمة فأخرجنا الله بك إلى النور، ووجدتنا على شفا حفرة من النار فأنقذنا الله بك، ووجدتنا ضُلالا فهدانا الله بك، قد رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا، فاصنع يا رسول الله ما شئت في أوسع الحل.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " والله لو أجبتموني بغير هذا القول لقلتُ صدقتم، لو قلتم: ألم تأتنا طريداً فآويناك، ومُكَذَّباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وقبلنا ما رد الناس عليك، لو قلتم هذا لصدقتم " فقالت الأنصار: بل لله ولرسوله المن، ولرسوله المن والفضل علينا وعلى غيرنا، ثم بكوا فكثر بكاؤهم، وبكى النبي صلى الله عليه وسلم معهم "[٩٧].

الهوامش والتعليقات:

١ هذه الطريقة المخصوصة التي تحكم مفهوم البلاغة العربية تشق أبواب البلاغة كلها البيان والمعاني والبديع، فمعظم الوجوه في هذه الأبواب الثلاثة خاضعة لمبدأ العدول" وهذا يجعل البلاغة العربية قريبة من الحجاج كما هو في البلاغة الجديدة وتقنياتها كما يؤكد ذلك د. عبدالله صولة، ولكنه يستدرك على ذلك بحال البلاغة في جمود تقسيماتها وطغيان الهدف التعليمي والشواهد المتكررة عليها منذ الجرجاني مما يجعل الدرس البلاغي درسا متكلساً يكاد يختفي فيه العمق الحجاجي لمفهوم البلاغة العربية، انظر: عبدالله صولة: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، تونس، دار مسكيلياني، الطبعة الأولى، ٢٠١١، ص٨٦

٢ انظر: طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، الدار البيضاء – بيروت، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩٨، ص ص ٣٠٤ -٣١٣.

٣ إن تردد مادة (حجج من الحُجة) عشرين مرة بصيغ مختلفة في القرآن الكريم وما ذكر فيها من صور للحجاج القرآني يلحظ منه اقتراب مفهوم الحجاج في القرآن من مفهوم الحجاج في الدراسات اللسانية الحديثة، و من أهم الكتب التي تعرضت للحجاج في القرآن الكريم كتاب عبدالله صولة "الحجاج في القرآن من خلال أهم مظاهره الأسلوبية" وقد ظهرت طبعته الأولى عام ٢٠٠١، أما الطبعة الثانية فقد طبعت في ٢٠٠٧، وصدرت في بيروت عن دار الفارابي، ومكتبة المعرفة، وكلية الآداب بجامعة منوبة بتونس، وللاستزادة حول الحجاج وعلاقته بالبلاغة العربية وعلاقته بالقرآن الكريم، انظر:

- عبدالله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، بيروت، دار الفارابي – كلية الآداب والفنون والإنسانيات، تونس، منوبة – دار المعرفة للنشر، تونس، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧، ص ١٦، ص ٢٢.

- صابر الحباشة: من إشكاليات تطبيق المنهج الحجاجي على النصوص (حجاجية المفردة القرآنية نموذجاً)، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، تحرير د. حافظ إسماعيلي علوي، إربد – الأردن، عالم الكتب الحديث، وجدارا للكتاب العالمي، ٢٠١٠، ج ٤، ص ص ١٨٩-٢٠٣.

٤ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي: لسان العرب، بيروت، دار صادر، الطبعة الثالثة: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، (خطب)، مج ١، ص ص ٣٦٠-٣٦١.

٥ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، (خطب)، ص ١٠٤.

٦ إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، اسطنبول، دار الدعوة، طبعة مصورة عن طبعة مجمع اللغة العربية، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، (خطب)، ج١، ص ٢٤٣.

٧ عبد الرحيم الرحموني: الخطابة العربية الإسلامية (دراسة في المتن والفن)، فاس، ٢٠٠٥، ص ١٣.

٨ انظر: شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، القاهرة، دار المعارف، الطبعة العاشرة، ١٩٨٣م، ص ص ٢٨-٢٩.

٩ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري: كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق مفيد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ١٥٤.

١٠ يمكن أن تحضر هنا شبهة رواية الحديث الشريف بالمعنى بشكل عام، والحقيقة أن هذه الشبهة قد تم تفنيدها عند أكثر من باحث وقد عرض لتلك البحوث الدكتور عيد بلبع، وأضاف إليها القيام بعملية مقارنة الهياكل الأسلوبية للأحاديث، وخرج إلى أنها ظاهر جزئية وضآلتها وانعدام أثرها، ولكنه لم يشر في نقده لهذه الشبهة إلى مسألة اختلاف النص وأثره في الرواية في المعنى إذ النص النبوي ليس حديثاً فمنه ما كان حديثاً قدسيا، ومنه ما كان وصايا، ومنه ما كان مواعظ، ومنه ما كان خطباً، ولا ريب أن دراسة البنية الهيكلية العليا لتلك النصوص قد يتضح منها اطراد بنى هيكيلية معينة تؤيد الرواية باللفظ والمعنى معاً إضافة إلى أن الخطابة عادة ما يكون الحاضرين فيها أكثر والوضع المعد للتلقي فيها مهيئاً للحفظ...، ولتفصل أكثر في هذه القضية انظر: عيد بلبع: مقدمة في نظرية البلاغة النبوية (السياق وتوجيه دلالة النص)، القاهر، بلنسية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨م، ص ص ٧٥-١١٥.

١١ هنالك من يقدر عدد خطب الجمعة التي خطبها الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة في عشر سنوات بأكثر من خمسمائة خطبة جمعة، لم يصلنا منها إلا عدد قليل لا يكاد يتجاوز بضعة خطب... انظر:

- فهد عامر الأحمدي: أين ذهبت خطب الرسول، جريدة الرياض، ٩ محرم ١٤٣٣هـ - ٤ ديسمبر ٢٠١١م –العدد15868 .

١٢ شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، مرجع سابق، ص ٥٧.

١٣ اعتمد البحث في الرجوع إلى خطب الرسول صلى الله عليه وسلم وتتبع موضوعاتها وأعدادها وأساليبها على ثلاثة مراجع هي:

- محمد خليل الخطيب: إتحاف الأنام خُطب الرسول صلى الله عليه وسلم، القاهرة، الدار المصرية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤م.
- مجدي محمد الشهاوي: خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، القاهرة، المكتبة التوفيقية، بدون تأريخ.
- إبراهيم أبو شادي: صحيح خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، القاهرة، دار الغد الجديد، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

وقد جمع الكتاب الأول الخطب النبوية التي وصل عددها إلى ٥٧٥ خطبة في ستة عشر باباً بدأها بخطب الرسول صلى الله عليه وسلم في الجهاد وانتهى بالخطب التي خطبها صلى الله عليه وسلم في مرضه، ويغلب عليه في ترتيب الخطب بعد ذلك ترتيب كتب الحديث فتراها مرتبة في باب للصلاة وآخر للزكاة وثالث لرمضان، ثم جعل أبوابا للإخلاص وللقرآن وللعلم وللتقوى ولصلة الرحم، وبابا سماه الخطب العامة وهي التي لم يجدها موضوع كما يقول، وخطب في المفردات، وخطب في آل البيت والصحابة، وخطب في الساعة وهذه العشوائية في ترتيب الخطب، يضاف إليها عدم الدقة في عزوها فهو يعزوها أحياناً بذكر صفحات المصدر والجزء الذي أخذ منه، وأحياناً يذكر المصدر من غير تحديد للصفحات، وأحياناً أخرى لا تجد عزواً للخطبة، فضلا عن ذلك فإن توثيق المصادر لا يتبع التوثيق العلمي المتعارف عليه وليس في الكتاب أي فهرس للمصادر وللمراجع كما يلحظ أن عددا كبيرا منها ليست خطباً وإنما هي أحاديث أو وصايا.

أما الكتاب الثاني لمجدي محمد الشهاوي فقد كان أكثر دقة في تتبع خطب الرسول صلى الله عليه وسلم ويظهر أنه أشبه بتهذيب للكتاب الأول؛ إذ جمع ٢٥٤ خطبة للرسول صلى الله عليه وسلم، وهو أكثر حرصاً في أن تكون خطباً لا أحاديث ولا وصايا، ولكنه لم يبنها على ترتيب محدد فقد بدأها بأول خطبة للرسول صلى الله عليه وسلم في مكة، ثم أول خطبة في المدينة، ثم خطبته في أول جمعة، ثم حاول بعد ذلك أن يجعل عنواناً لكل خطبة دون الإشارة إلى مستند في ترتيب الموضوعات مثل: ذم الدنيا، الموت قادم، هدايا العمال غلول، تحريم زواج المتعة، الخلافة ثلاثون عاماً، اللسان والفرج...إلخ. وقد كان أكثر دقة في العزو وتوثيق المصادر إلا أن الكتاب خلا من فهرس للمصادر وللمراجع.

ويأتي الكتاب الثالث لإبراهيم أبو شادي مركزاً على ناحية تتبع الصحيح من خطب الرسول صلى الله عليه وسلم وقد وجه نقدا شديدا لمحمد خليل الخطيب، أخرج فيه من خطبه حوالي ٢١٨ خطبة، كما أوضح فيه خلطه بين ما كان خطبة وما كان حديثاً كما أوضح فيه قيمة كثير من الخطب من حيث درجة الصحة أو غير ذلك، واقتصر فيه فقط على الخطب الصحيحة والحسنة (انظر المقدمة ص ص ٦-١٨)، وقد بلغت الخطب التي جمعها بحسب ترتيبه ٣٣٥ خطبة، ولكننا بعد حذف المكرر وحذف الأحاديث وجدناها تبلغ ٢٢١ خطبة فقط ومن الملحوظات الأخرى على صاحب الكتاب أنه لم يحسن ترتيب خطبه وكرر الخطب بأرقام مختلفة مع أنها خطبة واحدة من طرق متعددة، وأخطأ في الترقيم ما بعد الرقم ٩ جعله ١١كما أدخل في الخطب بعض الأحاديث وبعضها أحاديث فيها (يا أيها الناس) أو (يا معشر اليهود) ونحو ذلك، انظر الخطبة رقم ٢٢ ص ٥٦، وانظر ص ٧٧، ص ٧٨، ص ٩١، ص ٩٢ وص ٩٤، وص ١٥١ وص ١٥٢ وص ١٥٣ وص ١٥٤،وص ١٥٥ وص ١٥٦ وص ١٥٨ إضافة إلى أنه يذكر أن الرسول خطب كما في صلاة الاستسقاء ويجعلها في تعداد الخطب دون أن يذكر نص الخطبة، انظر كذلك ص ٧٣، وص ٧٤، وص ٧٦، كما أنه يكرر بعض الأحاديث وبعض الخطب انظر ص ١٠٦، وص ١٢٣كما أن كثيرا من الخطب إنما هي أجزاء أو جمل من خطب انظر ص ص ١٢١.

١٤ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي: لسان العرب، مرجع سابق، (حجج)، مج ٢، ص ٢٢٨.

١٥ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط، مرجع سابق، (حجج)، ص ٢٣٤.

١٦ المرجع السابق، (جدل)، ص ١٢٦١.

١٧ إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، مرجع سابق، (حجج)، ج١، ص ١٥٦.

١٨ أبو الوليد الباجي: كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق: عبدالمجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ٢٠٠١، ص ٣١.

١٩ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، بيروت، دار الجيل، بدون تأريخ، ص ٥٠٦.

٢٠ أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي: كتاب المعونة في الجدل، تحقيق وتقديم: عبدالمجيد تركي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، المقدمة ص ٦٠.

ويبدو أن ما ذهب إليه د. عبدالمجيد صحيح من حيث اختصاص الجدل بأصول الفقه، وإلا فإنهم حتى في أصول الفقه يعرفونه بأنه: "الفتل للخصم عن مذهب إلى مذهب بطريق الحجة." انظر: - أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الحنبلي ت ٥١٣: كتاب الجدل على طريقة الفقهاء، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، بدون تأريخ، ص ١. وللاطلاع على مسائل الجدل وعلى لمحة تأريخية موجزة عن الجدل والمناظرة، انظر: ابن البناء المراكشي ت ٧٢١هـ: رسالة في الجدل بمقتضى قواعد الأصول، تحقيق د. محماد رفيع، بيروت، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.

٢١ باتريك شاردو و دومينيك منغنو: معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبدالقادر المهيري وحمادي صمود، تونس، المركز الوطني للترجمة، ودار سيناترا، ٢٠٠٨، ص ٦٨.

٢٢ للنظر في الفرق بين الحجة والبرهان المنطقي يمكن الاطلاع على: عبدالسلام عشير: الكفايات التواصلية (اللغة وتقنيات التعبير والتواصل)، المغرب، منشورات Top Editin، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧ م، ص ٢٢٠، وص ٢٢٨.

٢٣ يشير د. حمو النقاري إلى إمكانية تأسيس نظري للحجاج اعتماداً على المناظرة وآداب البحث عند الأصوليين؛ إذ يقول: "هي مادة صالحة اليوم لأن تستثمر في أعمال أصيلة تساهم في الاجتهادات المعاصرة التي تشرف على الحوار وعلى التواصل اللغوي بصفة عامة بمنظار منطقي" ينظر: حمو النقاري: منطق الكلام من المنطق الجدلي الفلسفي إلى المنطق الحجاجي الأصولي، الرباط، دار الأمان، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ص ٤٩٨.

٢٤. يمكن مقاربة تعريفات أخرى مختلفة للحجاج، انظر على سبيل المثال:

- طه عبدالرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، بيروت – الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩٨، ص ٣٩٣.
- مليكة غبار وآخرون: الحجاج في درس الفلسفة، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ٢٠٠٦، ص ٣٩.
- أبو بكر العزواي: اللغة والحجاج، بيروت، مؤسسة الرحاب الحديثة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩، ص ص ٢١-٢٢.
- علي الشبعان: الحجاج بين المنوال والمثال (نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري)، تونس، مسكيلياني للنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م، ص ١٥.

- محمد العبد: النص الحجاجي العربي (دراسة في وسائل الإقناع) ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، تحرير: د. حافظ إسماعيلي علوي، عمّان، عالم الكتب الحديث، وجدارا للكتاب العالمي، ٢٠١٠، ج٤، ص ٤.

٢٥ شكري المبخوت: نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمودي صمود، تونس، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، منوبة، ١٩٩٨م، ص ٣٦٠.

٢٦ يمكن أن نجد هذه الإشارة إلى مرجعية الحجاج الاجتماعية، وإلى أنه يشمل المتلقين للنص اللغوي دون اشتراط أن يكون ذلك النص حوارياً في تعريف الحجاج بأنه "" ممارسة لغوية اجتماعية عقلانية تهدف إلى تأييد رأي من الآراء أو دحضه، ويتألف من مجموعة من المضامين التي توجه لإقناع المتلقين"، انظر:

- Frans H. van Eemeren, Rob Grootendorst and Tjark Kruiger: Handbook of Argumentation Theory, Foris Publications Holland - Foris Publications USA, 1987, p7

٢٧ إذا اعتبرنا الحجاج ظاهرة خطابية أمكن الاختيار بين أمرين: الأول أن كل كلام حجاجي حتماً؛ لأنه نتيجة ملموسة للتلفظ في مقام، وكل ملفوظ يرمي إلى التأثير في المرسل إليه... وتبديل نسق فكره... وتكون دراسة الحجاج دراسة نفسية لسانية أو اجتماعية لسانية. والثاني: أن بعض الخطابات فقط حجاجية، وينبغي البحث عن الحجاجية في طريقة تنظيم الخطابات، وهذا الموقف هو موقف النظريات الكلاسيكية للحجاج. وينتقد د. عبدالرازق بنور الاتجاه الأول الذي يتبناه ديكرو وبلانتين ويذهب إلى تأييد بيرلمان في أن للغة وظائف أخرى غير الوظيفة الحجاجية، انظر:

- كريستيان بلانتان: الحجاج، ترجمة عبدالقادر المهيري، تونس، المركز الوطني للترجمة ودار سيناترا، ٢٠٠٨، ص ٣٤.
- عبدالرزاق بنور: جدل حول الخطابة والحجاج، تونس، الدار العربية للكتاب، ٢٠٠٨، ص ص ٤٦-٤٨.

٢٨ للنظر في علاقة الحجاج بالخطابة، وتطورات النظريات الحجاجية عند الغرب تأريخياً يمكن الاطلاع على: كريستيان بلانتان: الحجاج، ترجمة عبدالقادر المهيري، مرجع سابق، ص ص ١٧-٢٦.

٢٩ انظر علي الشبعان: الحجاج بين المنوال والمثال (نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري)، تونس، مسيكلياني للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٨٨، ص ٣١، وقد رجعت إلى ترجمة عبدالقادر قنيني لخطابة أرسطو فلم أجده ذكر المصطلح بلفظه اليوناني ولكنه تطرق إلى صورة الخطيب وأخلاقه في أكثر من موضع، انظر:

- أرسطو: الخطابة، ترجمة عبدالقادر قنيني، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ٢٠٠٨، ص ص ١٥ – ١٦ من قوله: "وقد يحصل الإقناع بالسمات والطباع... إلى قوله: لأن الطباع أو السمت إذا جاز هذا التعبير، هو الذي يكاد يشكل الجزء الأنجع في الأدلة" وفي ص ص ٨٧ ٨٩ وهذه الصفحات هي الفصل الأول من المقالة الثانية وعنوانها (كيف نؤثر على فكر المخاطبين). ويمكن أن يكون ذلك عند الإشارة إلى أنواع التصديقات (الحجج)، وهو موجود أيضاً في ترجمة عبدالرحمن بدوي عند قوله: "فأما التصديقات التي نحتال لها بالكلام فإنها أنواع ثلاثة فمنها ما يكون بكيفية المتكلم وسمته..."
- أرسطو: الخطابة الترجمة العربية القديمة، تحقيق عبدالرحمن بدوي، الكويت، وكالة المطبوعات، بيروت،دار القلم، ١٩٧٩، ص ١٠.

والحاصل أن أرسطو إنما كان ينطلق في الخطابة من الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع، ويتوقف الإقناع عنده على ثلاثة أركان هي أولا: أخلاق القائل وهو ما يسمى بحجة الإيتوسEthos، وثانياً: تصدير السامع في حالة نفسية ما وهو ما يسمى بحجة الباتوسPathos، وثالثاً:القول من حيث يثبت أو يبدو أنه يثبت وهي حجة اللوقسLogos أي الكلام و/ أو العقل. انظر: عبدالله صولة: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات مرجع سابق، ص ٧١.

٣٠ أمينة الدهري: الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، الدار البيضاء، شركة النشر والتوزيع المدارس، الطبعة الأولى، ٢٠١١، ١٤٣٢هـ، ص ٢٢.

٣١ البشير اليعكوبي: القراءة المنهجية للنص الأدبي (النصان الحكائي والحجاجي نموذجاً)، الدار البيضاء، دار الثقافة للنشر، ٢٠٠٦، ص ٢٢٨.

٣٢ المرجع السابق: الصفحة نفسها.

٣٣ علي الشبعان: الحجاج بين المنوال والمثال (نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري)،مرجع سابق، بتصرف، ص ٣٦.

٣٤ المرجع السابق: ص٣٨.

٣٥ انظر الملحق: خطبة رقم (١)، ص ٤٥.

٣٦ إبراهيم أبو شادي: صحيح خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، مرجع سابق، ص ١٥٢. وانظر بألفاظ متقاربة: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح القدير، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة، بدون تأريخ، ج٨، ص ٧٣٧.

٣٧ مجدي محمد الشهاوي: خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، مرجع سابق، ص ٧، وللتفصيل في تخريج هذا الحديث ما خرجه به ابن كثير الذي أشار إلى أن في السند إرسالا عن ابن جرير، ثم ذكر رواية أخرى مرسلة أيضا ثم ذكر أنها مقوية للرواية الأولى، ومما يقوي هذه الرواية أنها أتت عن طريق حفاظ ثقات كابن كثير والبيهقي... أما مسألة التشريك في الضمير في لفظة (يعصهما) فقد ورد النهي الصريح عنها في حديث في صحيح مسلم، ولكنها جاءت باللفظ نفسه في حديث آخر صحيح وقد حاول النووي الجمع بين النهي والورود باحتمالات السياق واختلافها بين الأحاديث، انظر: أبو الفداء الحافظ بن كثير: البداية والنهاية، بيروت، مكتبة المعارف، الرياض، مكتبة النصر، الطبعة الأولى ١٩٦٦، ج ٣، ص ٢١٣، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم: صحيح مسلم بشرح النووي، بيروت، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٣٨٩هـ - ١٩٧٨م، مج٦،ج ١١، ص ص ١٥٩-١٦٠.

٣٨ المرجع السابق، ص ٨.

٣٩ سعدية لكحل: الحجاج في خطابات النبي إبراهيم عليه السلام، رسالة ماجستير مخطوطة في كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر، بدون تأريخ، ص ص ٥٠ -٥٣.

٤٠ المرجع السابق، ص ٥٤.

٤١ سورة الأنعام: آية ٨٣.

٤٢ مجدي محمد الشهاوي: خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، مرجع سابق، ص ٩٨، وانظر: إبراهيم أبو شادي: صحيح خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، مرجع سابق، ص ٢٠، وانظر كذلك: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم: صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، مج٣، ج٦، ص ١٥٣.

٤٣ مجدي محمد الشهاوي: خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، الصفحة نفسها، وانظر: إبراهيم أبو شادي: صحيح خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، مرجع سابق، ص ٥٤ و ص ١٣٤.

٤٤ المرجع السابق، ص ١٢٠، وانظر: إبراهيم أبو شادي: صحيح خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، مرجع سابق، ص ١٣٥.

٤٥ هنالك عدة تعريفات للتماسك النصي يمكن الاطلاع عليها في المراجع الآتية:

- Hallidy,M.A.K., and R. Hasan. 1976. Cohesion in English. Longman,p4.
- Ronald Carter and David Nunan: Introducing Discourse Analysis, Penguin Books, London, 1993. P21. P24.
- فان دايك: النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي)، ترجمة: عبدالقادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء – بيروت، ٢٠٠٠م، ص ١٣٧.
- شحدة فارع وآخرون: مقدمة في اللغويات المعاصرة، دار وائل للنشر، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ص ٢٠١.
- محمد مفتاح: التشابه والاختلاف (نحو منهاجية شمولية)، المركز الثقافي العربي، بيروت – الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ص ص ٤٠ – ٤١.

٤٦ الترابط مصطلح لساني نصي يقصد به: ما ينتج من عمليات الربط المختلفة، وفيه يتحقق التماسك الشكلي والتماسك الدلالي تمهيداً للوصول إلى التماسك الكلي، انظر:

- إشكالات النص: جمعان بن عبدالكريم، المركز الثقافي العربي – النادي الأدبي في الرياض، بيروت – الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، ص ٢٥١.

ويشير جمعان بن عبدالكريم ٢٠٠٩م إلى أن الترابط يحتاج ليتحقق كاملاً إلى عوامل خارج النص، وقد تم تلافي ذلك هنا بإدخال الترابط التداولي المتعلق بسياق النص ليكون جزءاً من مفهوم التماسك في هذا البحث.

٤٧ تون أ. فن دايك: علم النص (مدخل متداخل الاختصاصات)، ترجمة د. سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ص ٢١٢.

٤٨ انظر: شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، مرجع سابق، ص ص ٣٣-٣٤.

٤٩ هذا الرمز ⟝] هو رمز لعملية التركيب الحجاجي وتعني (ح) حجة أما (ن) فتعني نتيجة، وهذا الرمز يختلف عن علامة الاستلزام المنطقي التي يرمز لها بالرمز ←.

٥٠ أبو بكر العزواي: اللغة والحجاج، بيروت، مؤسسة الرحاب الحديثة، ٢٠٠٩، ص ٣٧.

٥١ انظر المرجع السابق، ص ٣٩.

٥٢ انظر كلاوس برينكر: التحليل اللغوي للنص (مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج)، ترجمة د. سعيد حسن بحيري، ص ص١٠٣- ١٠٦، وقد جعل برنيكر الأساس القيمي جزءاً من هيكلة الحجاج بشكل عام، وأضافه إلى مخطط تولمين في الحجاج، لأنه يعتقد أن الحجاج برمته يرتكز عليه، وعلى ذلك يمكن أن نقترح هنا أساسين قيميين أحدهما عام كالمعتقد أو المذهب أو النظرية، والآخر أساس قيمي خاص يتعلق بعلاقة القضية الحجاجية بالأساس القيمي العام، فالإسلام أساس قيمي عام، و التولي يوم الزحف – على سبيل المثال - أساس قيمي فرعي أو خاص... وهلم جرا.

٥٣ انظر في ما ثبت من بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم بالحمد والثناء في كل خطبه، والصيغة الصحيحة عنه في ذلك: إبراهيم أبو شادي، صحيح خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، مرجع سابق، ص ص ١١٩-١١٨، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم: صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، مج ٣، ج٦، ص ١٥٦.

٥٤ انظر: أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة السابعة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، ج١، ٤٠٤.

٥٥ انظر: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي: لسان العرب، مرجع سابق، ص ص ٣٧-٣٨ (بتر).

٥٦ محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي (مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية)، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م، ص ١٤٠.

٥٧ انظر المرجع السابق، ص ١٣٩.

٥٨ علي الشبعان: الحجاج بين المنوال والمثال، مرجع سابق، ص ١٢٩.

٥٩ أشار باختين إلى هذه الخاصية في النص الشفهي، وذكر أن النص الشفهي يتميز بثراء وتنوع غير محدود في جورناته (أنواع النصية وبناه العليا)؛ لأنه يحتوي على كل النشاطات البشرية التي لا تنضب، ولأن كل مجال من النشاطات يحتوي ويجمع تصانيف مختلفة من أنواع النصوص التي تستمر في الاختلاف وتنمو كمجال خاص يتطور ويصبح أكثر تعقيداً، انظر:

- M.M. Bakhtin: The Problem of Speech Genres
  The Discourse Reader, Edited by Adam Jaworski and Nikolas Coupland, Routledge, London and New York, p 98.

٦٠ بتتبع الخطب الواردة في محمد خليل الخطيب (إتحاف الأنام) وفي كتاب إبراهيم أبو شادي (صحيح خطب الرسول صلى الله عليه وسلم) يمكن الإشارة إلى الحوارات الآتية:

أولاً: في كتاب إتحاف الأنام

١- أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً...ج١،ص ١٨، ٢ – يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم... ج، ص ٢٦، ٣- فقال العباس: إلا الإذخر يا رسول الله فإنا نجعله في قبورنا وبيوتنا فقال: إلا الإذخر...ج١، ص ٣٠، ٤-... فناداه رجل نعجب منهم يا رسول الله... ج١، ص ٣٠، ٥- قيل يا رسول الله من هو؟ قال: أبو رغال... ج١، ص ٣١، ٦- فقام رجل فقال: يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي...ج١، ص ٣٢،٧-، قال يا رسول الله كيف نصنع...ج١، ص ٤١، ٨-... قال: ألا تجيبوني؟ قتلوا وماذا نجيبك يا رسول الله... ج١، ص ٤٩، ٩- قالوا: وبم يا رسول الله... ج١، ٧٥، ١٠- أيها الناس أنشدكم الله هل تعلمون... فقام رجل... ج١، ص ٧٥، ١١- قالوا يا رسول الله أليس كلنا لا يجد ما يفطر الصائم...ج١، ص ٨٢، ١٢ –... فقال رجل أكل عام يا رسول الله... ج١، ص ٨٦، ١٣ – ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد...ج١، ص ٩٠، ١٤ –... أتدرون أي يومكم هذا... أتدرون أي شهركم هذا... أتدرون أي بلد بلدكم هذا... ج١، ص٩٣، ١٥ –... فقال من شاء أن يقول: كيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل ج١، ص ١٠١، ١٦-... فقال بعض المجلس فكيف يا رسول الله بالمؤمنين والمؤمنات...ج١، ص ١١٥، ١٧ –... قال فأتينا أعرابيا فرشوناه برداء... ثم قلنا له سل النبي صلى الله عليه وسلم... ج١، ١١٧، ١٨-... فقام رجل فقال: يا رسول الله: أي الإسلام أفضل... ج١، ص ١٤٢، ١٩ – فناديت رسول الله وكنت جريئة على كلامه، فقلت: يا رسول الله لم... ج١، ص ١٦٤، ٢٠ –... فقام رجل، فقال إن فلانا ابني... قالوا: وما الأثلب... ج١، ١٧٩، ٢١- قال ك أتدرون ما الرقوب... قال أتدرون ما الصعلوك... قال: أتدرون ما الصرعة... ج١، ص ١٩٠، ٢٢ – فقال رجل يا رسول الله إنا لنستحي...ج١، ص ٢٠١، ٢٣-... فقال أعرابي يا رسول الله ما بال الإبل؟...ج٢، ص ٩٧، ٢٤- فقال ابن حوالة يا رسول الله إن أدركني الزمان...ج٢، ص ٩٨، ٢٥ – قال: أيها الناس أي أهل الأرض تعلمون أكرم على الله...ج٢، ص ١١١، ٢٦ –...ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم...ج٢، ١٤٠.

ثانيا: في كتاب صحيح خطب الرسول صلى الله عليه وسلم

١- ... ألا هل بلغت قالوا: بلى يا رسول الله... ص ٦٣، ٢- فقالت امرأة منهن جزلة وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار...، قالت يا رسول الله وما نقصان العقل والدين... ص ٨٠، ٣-... قال فقام الأقرع بن حابس فقال في كل عام يا رسول الله...، ص ٨٥ ٤- أتدرون أي يوم هذا وأي شهر هذا وأي بلد هذا... ص ٨٥، ٥- أتدرون أي يوم هذا قلنا: الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه... ص ٨٧، ٦- فقال يا رسول الله عندي جذعة خير من مسنة... ص ٨٨، ٧- فقام سراقة بن مالك بن جعشم فقال: يا رسول الله خبرنا خبر قوم كأنما ولدوا اليوم... ص ٨٩. ٨ – قال رجل ورسول الله على المنبر ما يلبس المحرم... ٩- جاء رجل إلى النبي وهو يخطب على المنبر: أرأيت إن قاتلت في سبيل الله... ص ٩٥، ١٠ – هل بلغت فقلنا نعم... ص ٩٦، ١١- فقام إليه أبو بردة بن نيار... ص ١١٠، ١٢ - فقام رجل فقال: يا رسول الله أي الإسلام أفضل... فقال الرجل أو غيره أي الهجرة أفضل؟... ص ١١٣، ١٣ - فقال له رجل: يا رسول الله أو يأتي الخير بالشر؟... ص ١١٤. ١٤ -.. فقام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله ألا تخبرنا ما هما؟....ص ١١٥، ١٥- فقال رجل: يا رسول الله إن هذه لموعظة مودع...ص ١١٦، ١٦-... فقالوا: يا رسول الله هؤلاء بنو ثعلبة بن يربوع... ص ١١٨، ١٧ - أتى رجل النبي رجل وهو يخطب فقال: يا رسول الله رأيت البارحة فيما يرى النائم... ص ١١٨، ١٨-... فقال العباس إلا الإذخر... ص ١١٩، ١٩-... فقلت وإن زنى وسرق يا رسول الله... ص ١٣٠، ٢٠ - فقام رجل من أهل اليمن يقال له أبو شاه فقال يا رسول الله اكتب لي... ص ١٣٠، ٢١ - قالوا بم ذاك يا رسول الله... ص ١٣١ ٢٢-... فقال ها هنا أحد من بني فلان... ص ١٣٢، ٢٣ -... وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل... ص ١٣٣، ٢٤ - ما تعدون الرقوب فيكم... قال فما تعدون الصرعة... ص ١٣٨، ٢٥ – ثم.. قال يا ابن حوالة إذا رأيت الخلافة... ص ١٣٩، ٢٦ - فقال الرجل: إنما قالها متعوذا... ص ١٤١، ٢٧ -.. أن أبا طلحة أتى النبي وهو على المنبر فقال... ص ١٤٦، ٢٨ -...أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي... ص ١٥٢، ٢٩ - فقام رجل من الأنصار أسود كأني أنظر إليه فقال يا رسول الله اقبل عني عملك... ص ١٦٢.

٦١ انظر: باتريك شارودو: الحجاج بين النظرية والأسلوب عن كتاب نحو المعنى والمبنى، ترجمة د. أحمد الودرني، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، ص ١٧.

٦٢ انظر: محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، الدار البيضاء، دار الثقافة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص ١٢٨.

٦٣ انظر: شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، مرجع سابق، ص ٣٤، وانظر أيضاً نماذج من خطبة قس بن ساعدة الأيادي التي يغلب عليها السجع ومنها خطبته التي رواها الرسول صلى الله عليه وسلم في: أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص ص ٣٠٨ -٣٠٩.

٦٤ وردت هذه العبارة في روايات كثيرة بألفاظ مختلفة منها ((إنه من أخوان الكهان من أجل سجعه الذي سجع))، ومنها سجع كسجع الأعراب، وكسجع الجاهلية، انظر: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم: صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، مج ٦، ج١١، ص ١٧٧، وص ١٧٩، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري: صحيح البخاري، بيروت، دار الفكر، مصورة عن دار الطباعة العامرة باستنبول، بدون تأريخ، مج٣، ج٧، ص ص ٢٧، ٢٨.

٦٥ انظر: أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص ٢٨٧.

٦٦ المرجع السابق، ج١، ص ص ٢٨٩ – ٢٩٠.

٦٧ قام د. محمد طروس بتقديم عرض موجز لستة عشر نموذجاً حجاجياً تتوزع ما بين نماذج بلاغية ومنطقية ولسانية، وتبلغ النماذج اللسانية منها أحد عشر نموذجاً... انظر: المرجع السابق: ص ص ١٤-١٦٦.

٦٨ تعد الروابط الحجاجية والسلالم الحجاجية من أهم أركان نظرية أو نموذج ديكرو وأنسكومبر، والرابط الحجاجي لايقتصر على حروف العطف بل قد يشمل الظروف وأدوات الاستثناء وأدوات القصر وكل ما يربط بين وحدتين دلالتين أو أكثر في إطار استراتجية حجاجية واحدة أو بعبارة أخرى هي التي تجعل دلالة الجمل في خدمة المقاصد الحجاجية... وهنالك عدة أنماط من الروابط وهي: الروابط المدرجة للحجج (حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأن...)، والروابط المدرجة للنتائج، مثل: (إذن، لهذا، وبالتالي)، والروابط التي تدرج حججاً قوية، مثل (حتى، بل، لكن، لاسيما)، والروابط التي تدرج حججاً ضعيفة، وروابط التعارض الحجاجي (بل، لكن، مع ذلك...)، وروابط التساوق الحجاجي (حتى، لا سيما...)، ويجب التفريق بين الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية من ظروف وأدوات استثناء أو حتى أداة ربط بكون العامل الحجاجي هو ما كان داخل القول نفسه أو الحجة نفسها، ووظيفة العوامل الحجاجية هي القيام بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية لقول ما. أما السلالم الحجاجية فنشأت عن أن القيمة الحجاجية

للمقول لا تنتج فقط من المعلومات التي يحملها، وإنما يمكن للجملة أن تستخدم صُرفات أو عبارات أو صيغاً أسلوبية لإسناد الوجهة الحجاجية للمقول... والسلم الحجاجي ركن أساسي عند ديكرو وأنسكومبر لأنه يطبق التدرج في الجمل مما يسمح بالتلطيف أو بتعميق تصورنا لبعض الروابط؛ وبناء على ذلك فإن نظام الحجج القائم على معيار التفاوت في درجات القوة والضعف يجعل الفئة الحجاجية منتظمة في سلم حجاجي، وبعبارة أوضح يمكن القول إن نظرية السلالم الحجاجية تُبنى على تدرج الأقوال والحجج في علاقتها بالنتائج. ولم تسلم هذه النظرية من النقد العنيف، وقد أوضح د. عبدالرزاق بنور جوانب مهمة من ضعف هذه النظرية وإن أقر لها بالتميز في جانب السلالم الحجاجية... وللمزيد حول هذه النظرية، وحول الروابط الحجاجية، والسلالم الحجاجية انظر:

- أبو بكر العزواي: اللغة والحجاج، مرجع، سابق، ص ص ٣٢-٣٦.
- محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، مرجع سابق، ص ص ٩٤- ١٠٦
- شكري المبخوت: نظرية الحجاج في اللغة، مرجع سابق، ص ص ٣٦٣-٣٧٠، وص ٣٧٦.
- عز الدين الناجح: العوامل الحجاجية في اللغة العربية، صفاقس – تونس، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١١، ص ص ١٥-٣٥ وص ص ١٢١-١٢٩.
- عبدالرزاق بنور: جدل حول الخطابة والحجاج، مرجع سابق، ص ٩١، وانظر النقد الموجه للنظرية بشكل كامل ص ص ٨٣-٩٦.
- جاك موشلر وآن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الباحثين بإشراف عز الدين مجدوب، تونس، المركز الوطني للترجمة، ودار سيناترا، ٢٠١٠، ص ص ١٨٥ -٢٠٩، وص ص ٢٩٣-٣٤٦.
- قدور عمران: البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، الأردن – إربد، عالم الكتب الحديث وجدارا للكتاب العالمي، الطبعة الأولى، ٢٠١٢، ص ص ٣٥-٣٨.

٦٩ انظر: أبو بكر العزاوي: الخطاب والحجاج، بيروت، مؤسسة الرحاب، الطبعة الثانية، ٢٠١٠، ص ٥٩.

٧٠ انظر: تون. أ. فان دايك: علم النص (مدخل متداخل الاختصاصات)، مرجع سابق، ص ٨٤.

٧١ انظر: عبدالرزاق بنور: جدل حول الخطابة والحجاج، مرجع سابق، ص ٦١، وص ٧٥، هامش رقم ٧٣، أبو بكر العزواي: الخطاب والحجاج، مرجع سابق، ص ١٧، وص ٢٩.

٧٢ انظر: أبو بكر العزواي: الخطاب والحجاج، مرجع سابق، ص ٢٩.

٧٣ انظر الخطبة الأولى في الملحق.

٧٤ يصنف عبدالله صولة القسم ضمن التوجيهات (Modalite (الإثباتية التي لها دور حجاجي يتمثل في توجيه المقول والقول معاً، ويقصد بالمقول موضوع الكلام، وبالقول مدى حضور الذات القائلة في كلامها... ويرى أن القسم حينما يثبت القضية ويوجبها يقيم في الوقت نفسه الحجة على المخاطب ويلزمه بها. انظر: عبدالله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص ٣١٦، وص ٣٢٠.

٧٥ انظر: أبو بكر العزواي: الخطاب والحجاج، مرجع سابق، ص ص ٨٢-٨٧.

٧٦ عبد الإله سليم: بنيات المشابهة في اللغة العربية (مقاربة معرفية)، الدار البيضاء، دار توبقال، الطبعة الأولى، ٢٠٠١، ص١٤٣.

٧٧ يطلق على التشبيه الذي يكون ذا وظيفة حجاجية مصطلح التشبيه الخطابي أو التشبيه التفسيري وهو كما يقول فرانسوا مورو: "يعتمد على مشابهة موضوعية وواقعية وعقلية قابلة لوضعها موضوع رقابة حواسنا وفكرنا، في حين أن التشبيه الشعري العاطفي... يعتمد على مشابهة ذات قيمة توحي بها إحساستنا وذاتيتنا"، بيد أنه يمكن القول إن التشبيه الخطابي لا يخلو من دفق عاطفي؛ إذ عادة ما يتم إدراك العلاقة بين المشبه والمشبه به بالتعرف ثم الألفة أو عدمها ثم الدهشة والعجب كل ذلك يختلط بالفكر وعمل العقل. انظر: فرانسوا مورو: البلاغة (المدخل لدراسة الصور البيانية)، ترجمة محمد الولي وعائشة جرير، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق، ٢٠٠٣، ص ٥٥.

٧٨ يحسن هنا أن نشير إلى أن تصنيف القسم كرابط نصي وحجاجي في الوقت نفسه وذلك أن القسم يتميز في اللغة العربية برابطيته في ضوء النص لأن واو القسم فيها شيء من واو العطف، إضافة إلى أن تركيب القسم في اللغة العربية من أداة القسم الجار والمجاور أو حتى مع الجملة الفعلية وما يتعلق به من جواب للقسم أو لام موطئة للقسم تؤدي عملية ربط نصية أي ربط لما فوق الجملة، ومن المعلوم أن تركيب القسم لايوجد في الغالب إلا في مقام حجاجي، لكل ذلك نرى أن القسم يؤدي إلى ربط حجاجي في إطار النص، وهذا التصنيف للقسم كرابط نصي حجاجي يأتي بناء على تقسم الروابط على النحو الآتي:

- الروابط الجملة، وهي روابط تعمل داخل الجملة.
- الروابط النصية وهي روابط تعمل داخل النص للربط بين الجمل وللربط بين الفقرات، وقد يكون بعض هذه الروابط مما يعمل في داخل الجملة ويعمل خارج الجملة للربط بين الجمل، وقد يكون مختصاً بالربط بين الجمل والفقرات فقط.
- الروابط المنطقية وهي تلك الروابط التي يحصرها المنطقيون للربط بين القضايا المنطقية ويقسمونها إلى رابط السلب ~، ورابط الوصل ٨، ورابط الفصل٧ ورابط الشرط ←، وسوى ذلك من الروابط المنطقية، ولكن الروابط المنطقية لها وضع خاص تختلف فيه عن الروابط في اللغة الطبيعية، إذ قد يكون هنالك عدة روابط في اللغة الطبيعية يعبر عنها برابط الفصل في إطار تحليل القضايا المنطقية كما أن بعض الروابط لا يمكن أن تعد من الروابط المنطقية حتى وإن كانت ربطت بين جملتين فعلى سبيل المثال فإن جملة (١) ذهب خالد إلى البقالة لأن علياً بقي في المنزل، وجملة (٢) ذهب خالد إلى البقالة أو بقي علي في المنزل لا يمكن عد الربط ب (لآن) وب (أو) هنا ربطاً منطقياً؛ إذ في (١) لاتتحقق فيها قيمتا الصدق والكذب عن يمين ويسار الرابط تحققا منطقياً؛ فلو كانت الجملة (١) تعد حقيقة فيما قبل الرابط وحقيقة فيما بعد الرابط لكنها لاتحتاج لتكون حقيقة لذهاب خالد بسبب بقاء علي في البيت، أما في المثال (٢) فإن القضية غير كافية للتأسيس الحيقة على هذا التركيب.
- الروابط الحجاجية بين الجمل وقد أشرنا إليها في الهامش رقم ٥٥، وهي التي تمحور حولها درس الحجاج اللساني وخصوصا في اللغة الفرنسية في نموذج ديكرو وأنسكومبر.، ويحسن التأكيد على أنها روابط في اللغة الطبيعية وليست في اللغة المنطقية، ولا تحلل بالطريقة ذاتها التي تحلل بها الروابط المنطقية بل يشار إلى دورها في ضوء الهيكلة الحجاجية وتقاس بناء على ذلك قوتها ودورها في قيمة الحجاج.
- الروابط الحجاجية النصية، وتشمل هذه الروابط الروابط الحجاجية بين الجمل والروابط الحجاجية بين عدة جمل أو بين الفقرات إذا كانت في نص حجاجي وتحمل توجهات حجاجية، وهذه الروابط لم تدرس درساً كافيا حتى الآن، وللاستزادة حول الروابط يمكن الاطلاع على المراجع الآتية:
- جمعان عبدالكريم: إشكالات النص (دراسة لسانية نصية)، بيروت، المركز الثقافي العربي – نادي الرياض الأدبي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ / ٢٠٠٩م، ص ص ٢٥٩ –٣٠٨.
- عادل فاخوري: المنطق الرياضي، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م، ص ص ١٥ –٢٥.

- جاك موشلر وآن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الباحثين بإشراف عز الدين مجدوب، تونس، المركز الوطني للترجمة، ودار سيناترا، ٢٠١٠، ص ص ١٨٥ -٢٠٩.
- Ernest Lepore with Sam Cumming: Meaning and Argument (An Introduction Logic Through Language, Wiley-Black Well, Second Edition, 2009, p32.

٧٩ إبراهيم أبو شادي: صحيح خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، مرجع سابق، ص ١٥٢.

٨٠ المرجع السابق: ص ١٥٣.

٨١ انظر نص الخطبة في الملحق.

٨٢ انظر نص الخطبة في الملحق.

٨٣ انظر: عاصم شحادة علي: علم اللغة النصي ودوره في شرح الحديث وفهمه: أحاديث الجهاد والسير في صحيح البخاري نموذجا، المجلة العربية للدراسات اللغوية، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، ع ٢٩/ ٣٠، محرم ١٤٣٣هـ / ديسمبر ٢٠١١م، ص ٢٥.

٨٤ نلحظ أن الرسول استعمل هذه الإستراتيجية في غير هذا الخطبة، وقد استعملها مرات عديدة، وهذه الإستراتيجية تجعل السامع مرتبطاً ارتباطاً قوياً بالمتكلم كما تجعله يتشوق لما بعد فترة الصمت مركزاً قواه الفكرية لفهمه واستيعابه... انظر على سبيل المثال في خطبة يوم النحر حين توالت فترات السكوت وطالت قليلاً عن المعتاد في المدة الزمنية للوقف بين الجمل يقول الصحابي أبو بكرة رضي الله عنه: "فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه..." ويكررها أكثر من مرة. انظر: إبراهيم أبو شادي: صحيح خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، مرجع سابق، ص ٨٧.

٨٥ انظر: طه عبدالرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، بيروت – الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩٨، ص٢٣٢، وص ص ٣١١-٣١٢.

٨٦ انظر نص الخطبة في الملحق.

٨٧ انظر: طه عبدالرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، مرجع سابق، ص ٢٢٨.

٨٨ انظر: Jan Renkema: Introduction Discourse Studies, 2004, John Benjamins B.v., Amsterdam,p 212

٨٩ انظر: Frans H. van Eemeren, Rob Grootendorst and Tjark Kruiger: Handbook Of Argumentation Theory.p187.

٩٠ Jan Renkema: Introduction Discourse Studies, 2004,p 212

٩١ تنشأ حجاجية التمثيل الاستعاري وقوته من التفاعل الحادث بين طرفي التمثيل وحدوث التقارب بينهما، بل يصل الأمر إلى حدوث التداخل بينهما الذي يؤدي إلى إكساب طرفي الموضوع قيمة إيجابية أو سلبية بحسب نوع التمثيل، وما يميز التمثيل الاستعاري حجاجياً أنه ليس علاقة مشابهة بل هو تشابه علاقة... انظر: عبدالله صولة: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مرجع سابق، ص ص ٥٧-٦١

٩٢ مجدي محمد الشهاوي: خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، مرجع سابق، ص ٥. وانظر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح القدير، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة، بدون تأريخ، ج٨، ص ٧٣٧.

٩٣ مجدي محمد الشهاوي: خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، ص ٦. وانظر: عبدالرحمن السهيلي: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: عبدالرحمن الوكيل، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، ج٤، ص ٢٣٩.

٩٤ الحبط: وجع ببطن البعير من كلأ يستوبله أو من كلأ يكثر منه فتنتفخ منه، فلا يخرج منها شيء، انظر: الفيروزآبادي: القاموس المحيط، مرجع سابق، ص ٨٥٤ (حبط).

٩٥ الثلط: هو السلح الرقيق، انظر: الفيروزآبادي: القاموس المحيط، مرجع سابق، ص ٨٥٣ (ثلط).

٩٦ إبراهيم أبو شادي: صحيح خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، مرجع سابق، ص ١١٤، مجدي محمد الشهاوي: خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، مرجع سابق، ص ١٩، محمد خليل الخطيب:إتحاف الأنام، مرجع سابق، ج١، ص ١٤٩. وانظر: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري: صحيح البخاري، مرجع سابق، مج ٣، ج٧، ص ١٧٣.

٩٧ مجدي محمد الشهاوي: خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، مرجع سابق ص ص ١٣٤-١٣٥. محمد خليل الخطيب: إتحاف الأنام، مرجع سابق، ج١، ص ص ٤٩- ٥٠. إبراهيم أبو شادي: صحيح خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، مرجع سابق، ص ١٥٦، وانظر: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري: صحيح البخاري، مرجع سابق، مج ٢، ج ٥، ص ص ١٠٤-١٠٧.

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب العربية والكتب المترجمة

- القرآن الكريم
- أرسطو: الخطابة، ترجمة عبد القادر قنيني، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ٢٠٠٨م.
- أرسطو: الخطابة الترجمة العربية القديمة، تحقيق عبدالرحمن بدوي، الكويت، وكالة المطبوعات، بيروت، دار القلم، ١٩٧٩م.
- الباجي، أبو الوليد: كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق: عبدالمجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ٢٠٠١م.
- البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة: صحيح البخاري، بيروت، دار الفكر، مصورة عن دار الطباعة العامرة باستنبول، بدون تأريخ.
- برينكر، كلاوس: التحليل اللغوي للنص (مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج)، ترجمة د. سعيد حسن بحيري، القاهرة، مؤسسة المختار، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
- بلانتان، كريستيان: الحجاج، ترجمة عبدالقادر المهيري، تونس، المركز الوطني للترجمة ودار سيناترا، ٢٠٠٨م.
- بلبع، عيد: مقدمة في نظرية البلاغة النبوية (السياق وتوجيه دلالة النص)، القاهر، بلنسية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨م.
- بنور، عبدالرزاق: جدل حول الخطابة والحجاج، تونس، الدار العربية للكتاب، ٢٠٠٨م.
- الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة السابعة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
- الحباشة، صابر: من إشكاليات تطبيق المنهج الحجاجي على النصوص (حجاجية المفردة القرآنية نموذجاً)، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، تحرير د. حافظ إسماعيلي علوي، إربد – الأردن، عالم الكتب الحديث، وجدارا للكتاب العالمي، ٢٠١٠م.

- الخطيب، محمد خليل: إتحاف الأنام خُطب الرسول صلى الله عليه وسلم، القاهرة، الدار المصرية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: مقدمة ابن خلدون، بيروت، دار الجيل، بدون تأريخ.
- الدهري، أمينة: الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، الدار البيضاء، شركة النشر والتوزيع المدارس، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، ١٤٣٢هـ.
- الرحموني، عبدالرحيم: الخطابة العربية الإسلامية (دراسة في المتن والفن)، فاس، ٢٠٠٥.
- سليم، عبد الإله: بنيات المشابهة في اللغة العربية (مقاربة معرفية)، الدار البيضاء، دار توبقال، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- السهيلي، عبدالرحمن: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: عبدالرحمن الوكيل، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.
- أبو شادي، إبراهيم: صحيح خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، القاهرة، دار الغد الجديد، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
- شارودو، باتريك: الحجاج بين النظرية والأسلوب عن كتاب نحو المعنى والمبنى، ترجمة د. أحمد الودرني، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.
- شاردو، باتريك و دومينيك منغنو: معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبدالقادر المهيري وحمادي صمود، تونس، المركز الوطني للترجمة، ودار سيناترا، ٢٠٠٨م.
- الشبعان، علي: الحجاج بين المنوال والمثال (نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري)، تونس، مسيكلياني للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
- الشهاوي، مجدي محمد: خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، القاهرة، المكتبة التوفيقية، بدون تأريخ.
- الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي: كتاب المعونة في الجدل، تحقيق وتقديم: عبدالمجيد تركي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

- صولة، عبدالله: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، بيروت، دار الفارابي – كلية الآداب والفنون والإنسانيات، تونس، منوبة – دار المعرفة للنشر، تونس، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م.
- صولة، عبدالله: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، تونس، دار مسكيلياني، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.
- ضيف، شوقي: الفن ومذاهبه في النثر العربي، القاهرة، دار المعارف، الطبعة العاشرة، ١٩٨٣م.
- طروس، محمد: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، الدار البيضاء، دار الثقافة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- العبد، محمد: النص الحجاجي العربي (دراسة في وسائل الإقناع) ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، تحرير: د. حافظ إسماعيلي علوي، عمّان، عالم الكتب الحديث، وجدارا للكتاب العالمي، ٢٠١٠م.
- عبدالرحمن، طه: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، بيروت – الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.
- عبدالكريم، جمعان: إشكالات النص (دراسة لسانية نصية)، بيروت، المركز الثقافي العربي – نادي الرياض الأدبي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ / ٢٠٠٩م.
- العزاوي، أبو بكر: الخطاب والحجاج، بيروت، مؤسسة الرحاب، الطبعة الثانية، ٢٠١٠م.
- العزواي، أبو بكر: اللغة والحجاج، بيروت، مؤسسة الرحاب الحديثة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م.
- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر: فتح القدير، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة، بدون تأريخ.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل: كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق مفيد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- عشير، عبدالسلام: الكفايات التواصلية (اللغة وتقنيات التعبير والتواصل)، المغرب، منشورات Top Editin، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

- ابن عقيل، أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد البغدادي الحنبلي (ت ٥١٣): كتاب الجدل على طريقة الفقهاء، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، بدون تأريخ.
- عمران، قدور: البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، الأردن – إربد، عالم الكتب الحديث وجدارا للكتاب العالمي، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.
- العمري، محمد: في بلاغة الخطاب الإقناعي (مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية)، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م.
- غبار، مليكة وآخرون: الحجاج في درس الفلسفة، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ٢٠٠٦م.
- عادل فاخوري: المنطق الرياضي، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.
- فارع، شحدة وآخرون: مقدمة في اللغويات المعاصرة، دار وائل للنشر، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
- فان دايك، تون أ.: علم النص (مدخل متداخل الاختصاصات)، ترجمة د. سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- فان دايك، تون أ: النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي)، ترجمة: عبدالقادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء – بيروت، ٢٠٠٠م.
- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م
- ابن كثير، أبو الفداء الحافظ: البداية والنهاية، بيروت، مكتبة المعارف، الرياض، مكتبة النصر، الطبعة الأولى ١٩٦٦م.
- المبخوت، شكري: نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمودي صمود، تونس، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، منوبة، ١٩٩٨م.
- المراكشي، ابن البناء: رسالة في الجدل بمقتضى قواعد الأصول، تحقيق د. محماد رفيع، بيروت، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.

- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن: صحيح مسلم بشرح النووي، بيروت، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٣٨٩هـ - ١٩٧٨م.
- مصطفى، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، اسطنبول، دار الدعوة، طبعة مصورة عن طبعة مجمع اللغة العربية، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- مفتاح، محمد: التشابه والاختلاف (نحو منهاجية شمولية)، المركز الثقافي العربي، بيروت – الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي: لسان العرب، بيروت، دار صادر، الطبعة الثالثة: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- موشلر، جاك وآن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الباحثين بإشراف عز الدين مجدوب، تونس، المركز الوطني للترجمة، ودار سيناترا، ٢٠١٠م.
- مورو، فرانسوا: البلاغة (المدخل لدراسة الصور البيانية)، ترجمة محمد الولي وعائشة جرير، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق، ٢٠٠٣م.
- الناجح، عز الدين: العوامل الحجاجية في اللغة العربية، صفاقس – تونس، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.
- النقاري، حمو: منطق الكلام من المنطق الجدلي الفلسفي إلى المنطق الحجاجي الأصولي، الرباط، دار الأمان، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- اليعكوبي، البشير: القراءة المنهجية للنص الأدبي (النصان الحكائي والحجاجي نموذجاً)، الدار البيضاء، دار الثقافة للنشر، ٢٠٠٦م.

ثانياً: الكتب العربية المخطوطة

- لكحل، سعدية: الحجاج في خطابات النبي إبراهيم عليه السلام، رسالة ماجستير مخطوطة في كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر، بدون تأريخ.

ثالثاً: الكتب الأجنبية

- M.M.: The Problem of Speech Genres Bakhtin,
  The Discourse Reader, Edited by Adam Jaworski and Nikolas Coupland, Routledge, London and New York, Second edition 2006
- Carter, Ronald and David Nunan: Introducing Discourse Analysis, Penguin Books, London, 1993
  Eemeren, Frans H. van, Rob Grootendorst and Tjark Kruiger: Handbook of - Argumentation Theory, Foris Publications Holland - Foris Publications USA, 1987
- Hallidy, M.A.K., and R. Hasan. 1976. Cohesion in English. Longman
- Lepore, Ernest with Sam Cumming: Meaning and Argument (An Introduction Logic Through Language, Wiley-Black Well, Second Edition, 2009, p32.
- Renkema, Jan: Introduction Discourse Studies, 2004, John Benjamins B.v., Amsterdam

رابعاً: الدوريات

- الأحمدي، فهد عامر: أين ذهبت خطب الرسول، جريدة الرياض، ٩ محرم ١٤٣٣هـ – ٤ ديسمبر ٢٠١١م، العدد ١٥٨٦٨.
- علي، عاصم شحادة: علم اللغة النصي ودوره في شرح الحديث وفهمه: أحاديث الجهاد والسير في صحيح البخاري نموذجا، المجلة العربية للدراسات اللغوية، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، ع ٢٩/ ٣٠، محرم ١٤٣٣هـ / ديسمبر ٢٠١١م.